روائع شكسبير

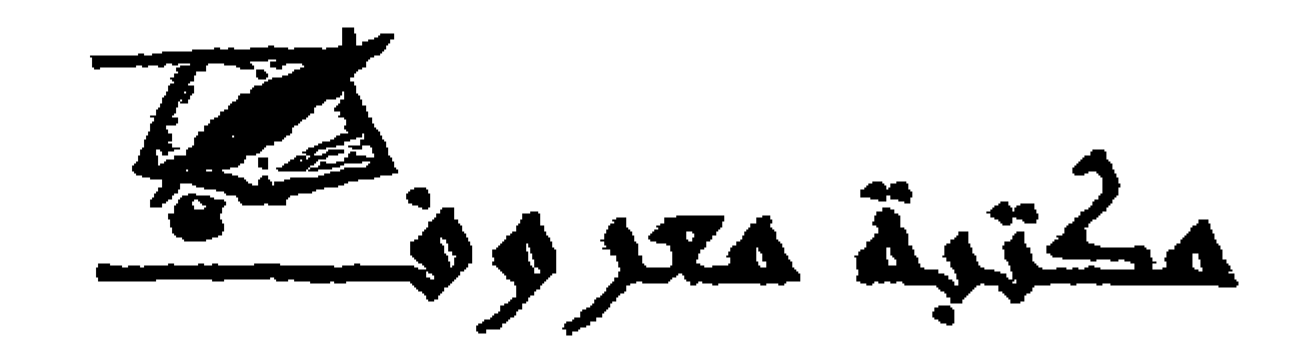
يوليوس قيصر

مكتبة معروف

روائع شكسبير

يوليوس قيصر

حمدى السعداوى



الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة: ٣٦١١٢٣٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

تعريف بالكاتب

* وليم شكسبير من أعظم شعراء الأنسانية .

كان مولده فى شهر أبريل من عام ١٥٦٤ ببلدة ستراتفورد الأنجليزية وكان والده رجل أعمال ناجحا وكانت أمه من بنات عائلة ثرية معروفة . وتعلم شكسبير مع أخوته الأربعة فى مدرسة البلدة حيث كان يدرس اللاتينية وآداب الأنجليزية ويبدو أن شكسبير أستطاع بطريقته الخاصة أن يزود معرفته باللغة الفرنسية وكذلك الإيطالية .

وفى عام ١٥٧٧ وكان عمره ١٢ عاما .. أضطر شكسبير إلى ترك الدراسة والألتحاق ببعض الأعمال البسيطة كى يساعد والده فى تدبير أمور معيشة الأسرة وذلك بعد أن ألمت بالأب بعض الصعاب المالية جعلته يفقد أعماله الناجحة .

وفى الثامنة عشر من عمره تزوج وليام شكسبير من أمرأة تكبره بثمان سنوات ورزق منها بثلاثة أولاد ولكنه لم يستطع التأقلم على الحياة الزوجية التى تتطلب من المرء ألتزاما وثباتا لم يجدهما وليام متوافران لديه .. فكان كثيرا ماينشب الشجار بين الزوجين ، ودفعت تلك الأزمات بشكسبير إلى مجموعة من أصدقاء السوء .. فكان وهو

فى تلك السن الصغيرة نسبيا يقتـرف معهم بعض الأعمال الإجرامية الصغيرة كسرقة الأرانب والغزلان من مزارع الأعيان .

وفى عام ١٥٨٥ نظم شكسبير قصـيدة فى هجاء أحد الوجهاء فى بلدته .. ويبدو أن هذا الوجيه قد ضايقـه بسبب تلك القصيدة ، فعزم وليام شكـسبيـر على أن يترك سـتراتفورد إلى حـين ، وغادرها إلى لندن التى وصلهـا معـدما ، بلا صنـعة يحـترفـها أو مـهنة يتقنهـا ، ويختلف المـؤرخون فى تفاصـيلها تلك الفـترة الأولى من حـياته فى لندن .. فمنهم من يقول أنه أمتهن حراسة خيول رواد المسرح الأثرياء والذين كـانوا يتركـونها خـارج المسـرح . ومنهم من يقول أنه عـمل كخادم فى المســرح . ولكن الأرجح أنه عمل كمـساعد ملقن مستـعينا فى ذلك بمحصـول دراستـه الأدبية فى الأدب الأنـجليـزى ومعرفـته ببعض اللغات الأجنبية .

وفى عام ١٥٩٢ تقريبـا بدأ وليام شكسبير عـمله ككاتب مسرحى له قدره وذلك بعد أن أشتهر بين الأوساط الفنية فى لندن بأنه مراجع جيد للنصوص المسرحـية ، أما أولى وثباته فى تاريخ النـجاح فكانت فى عام ١٦٠٣ حين أعتلى چيمس الأول عرش أنــجلترا ودعاه ليمثل فى القصر الملكى أمام الملك ورجال البلاط المحترمين .

وفى عام ١٥٩٧ عـاد وليام شكسبـير إلى بلدته ستـراتفورد التى غادرها مـعدما ، وهناك أشـترى بعض العقـارات ومخزنين للحـبوب وعاد أسـمه وأسم عـائلته إلى الظهـور مرة أخرى ، وأسـتقـر وليام

شكسبير فتره فى بلدته يوطد فيها مركزه ويعيد لأسم عائلته مجدها الذى ضاع سنينـا طويلة ، ثم عاد إلى لندن عام ١٥٩٩ ليؤلف ويمثل العديد من المسرحيـات الناجحة ، وبلغ نـجاحه حدا كـبيرا لدرجة أنه أستطاع أن يحصل على جزء من أرباح مسرح الكرة الأرضية الشهير وكان من أكبر مسارح أنـجلترا فى هذا العهد .

وفى عام ١٦١١ أنهى شكسبير نشـاطه المسرحى فى لندن بعد ما أثرى الأدب الأنـجليزى بمجموعة كبيرة من الأعمال الفنية جعلته بحق أمير الأدباء فى عصره ، وفى عام ١٦١٦مات فى ستراتفورد عن عمر ٥٢ عاما تقريبا ، ودفن فى بلدته التى غادرها صغيرا ولكنه عاد إليها شخصا معروفا ، ثريا تتناقل أسمه كل محافل أنـجلترا الأدبية ..

ترك وليام شكسبـير تراثا خالدا من الأعمال الأدبيـة العظيمة يمكن تلخيصها عدديا كالآتى :

١٤٠ مقطوعة شعرية

٥ قصائد طويلة

٣٧ مسرحية شعرية تتخللها بعض المواطن النثرية ..

ويقسم المؤرخون أعمال شكسبير المسرحية إلى ثلاثة أقسام حسب موضوعاتها .

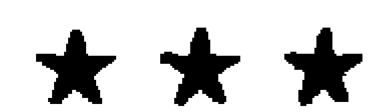
– مسرحيات هزلية .. ومنها ملهاة الأفكار ، حلم ليلة صيف ، الليلة الثانية عشرة .

– مسرحيات تاريخية ... ومنها الملك هنرى الرابع ، الخامس ، الملك جون ..

– مسرحيات مأساوية .. ومنها يوليوس قيصر ، هاملت ، عطيل ، أنطونيو وكليوباترة والجدير بالذكر أن براعة شكسبير الفائقة فى تصوير الأحداث وتحليل العوامل النفسية لشخوص أبطال مسرحياته جعلت الكثير من المؤرخين والباحثين يتركون المسرحية نفسها لدراسة بعض التفاصيل التى تبدو بعيدة عن الموضوع نفسه ، فمثالا .. متى كتبت هذه المسرحية ؟ .. ومن من الأدباء الذين تأثر بهم شكسبير عند كتابته للمسرحية ؟

بل أن دراسات أدبية ذات قيمة عاليه جيدا كانت تجرى على بعض أبطال رواياته أمثال شايلوك التاجر اليهودى فى مسرحيته (تاجر البندقية) وعطيل القائد المغربى الأسود فى المسرحية المعروفة بنفس الأسم و ...

وهكذا كان وليام شكسبير أسطورة حقيقية للأدب فى كل زمان ومكان.



الشخصيات الرئيسية

قيصر : حاكم روما ..

مارلوس وفلافيوس : من النبلاء ..

كلفورنيا : زوجة قيصر ..

مارك أنطونيو : قائد عسكرى ..

كاسيوس : من رجال البلاط ..

بروتس : أحد القضاة .. ومن رجال البلاط ..

كاسكا : صاحب الطعنة الأولى .. من رجال البلاط ..

شيشرون : خطيب رومانى ..

أوكتافيوس : قائد عسكرى .. أبن أخت قيصر ..

بورشيا : زوجة بروتس ..

جنود - خدم - أتباع - أعضاء مجلس الشيوخ - أهالى ..

تدور أحداث هذه القصة فى روما .. والمناطق القريبة منها ..

★ ★ ★

الفصل الأول

عندما وصلت أنباء انتصار قيصر حاكم روما على أبناء بومبى فيما يعرفه التاريخ بموقعة مندا بأسبانيا .. هلل الشعب فرحا ، فهاهو انتصار جديد يوطد به قيصر عرش أمبراطوريته المترامية الأطراف ويزيد به من سطوة روما على غيرها من الأمم والبلدان .. وهو أخيرا وسام جديد على صدر ذلك القائد الرومانى الفذ .. الذى به يفخر الرومان ويتباهون ، والشعوب بطبعها تستهويها قصص البطولات وأحاديث النصر والفوز لذا . فعندما أعلن عن وصول قيصر إلى روما مكللا بهذا النصر الحاسم ، خرجت جموع الشعب على بكرة أبيها لتحية ذلك البطل المظفر .. وبدت روما كعروس حسناء فى زينتها وجلالها ..ولما تصادف أن كان نفس يوم وصول قيصر هو يوم عيد " اللوپركال "* ، فلك أن تتصور كيف بدت روما فى هذا اليوم الجميل ..

ترك الصناع صناعتهم وأغلقا حوانيتهم وخرجوا لأستقبال قيصر ..

---

* عيد اللوپركال هو عيد التطهير والخصب عند الرومان ..

عُطلت كل الأعمال وبدت البلاد كأنها منتزه كبير ..

منح الرومان كلهم لأنفسهم أجازة مَن كل شيء ، وأمتلأت طرقات المدينة بالمستقبلين من فقراء وأغنياء ، سادة وأتباعا ، الوجهاء والعوام .. كل روما الآن .. كشخص واحد .. تستقبل قيصر ..

★ ★ ★

كان فلافيوس ومارلوس وهما من نواب الشعب يسيران فى شوارع روما ومحالها كما وصفنا يتعجبان كيف عطل الناس مصالحهم وخرجوا على هذه الصورة لتحية معبودهم ؟.. فقيصر فى نظرهما لم يك سوى ديكتاتور عجوز فاسد تحيط به بطانة من المنتفعين المنافقين الذين لا هم لهم إلا الثراء وتولى المناصب وإن كان الناس بفضل الدعاية المضللة .. يعتقدون فى قيصر المجد والبطولة .. فحقيقة الأمر أن بطلهم المزعوم ما هو ألا شخص متخبط الرأى أسكرته الشهرة وذهب بعقله المنصب حتى ظن فى نفسه الجدارة والأستحقاق ..

قال فالافيوس موجها حديثه إلى هؤلاء الناس الذين يروحون ويغدون فى عجلة :

– هيا أيها الملاعين .. أرجعوا إلى بيوتكم .. أهذا يوم عطلة ؟ ما بالكم قد تركتم أعمالكم وعطلتم مصالحكم ؟..

ثم أمسك بتلابيب أحدهم : أنت .. ما هى صناعتك ؟..

أجابه الرجل وهو يحاول التملص من قبضته :

– أنا أسكافى يا سيدى .. جراح الأحذية العتيقة ..

فسأله فيلاڤيوس بحدة : ولماذا أغلقت دكانك ؟.. ولماذا تقود هؤلاء الناس وإلى أين ؟..

أجاب الأسكافى مبتسما : الواقع يا سيدى أن سير هؤلاء الناس مهرولين كفيل بأن يبلى أحذيتهم وبذلك يزيد عملى وتربح صنعتى ..

زجره فلاڤيوس : أتمزح معى !؟.. تكلم أيها الحقير ..

أجاب الرجل فزعا : الحق يا سيدى أننا خرجنا للترحيب بقيصر ..

لكز مارلوس الإسكافى فى كتفه قائلا :

– ولماذا ترحبون به ؟ وأى نصر هذا الذى جاء به ؟ أمن أجل أسرانا الذين عاد بهم بعد دفع فديتهم ؟. أمن أجل نصر مشكوك فيه عطلتم أعمالكم يا جهلة .. يا أحجار يا أحط مخلوقات الله !..

ألم يك بومبى نفسه هو بطلكم ومعبودكم ؟ هل تذكرون كيف كنتم تتسلقون الجدران والشرفات كى تنعموا بنظرة واحدة إليه ؟ أما كانت صيحاتكم وهتافاتكم تزلزل روما كلها أثناء مروره ؟ الآن ترحبون بذلك الذى جاء منتصرا على ولديه ؟ أين ولاؤكم وشرفكم ؟..

فعل قول مارلوس فعله فى جماعة العامة .. إذ نظر بعضهم إلى

بعض وكأنهم قد توصلوا إلى قرار واحد .. فقد كان محدثهم مصيباً فى كل ما قاله .. نعم .. كان بومبى إلى وقت قريب بطلهم الأوحد .. فلما أنقلبت الأمور نسيه الناس وتولوا عنه إلى قيصر الذى لا يملك تاريخا مثل تاريخه ، ولا مواهب مثل مواهبه ..

وشعر فلافيوس بأستجابة الجماهير فعاد يقول :

– هيا أرجعوا إلى بيوتكم .. عودوا إلى أعمالكم ، وأبتهلوا إلى الله أن يغفر ذنبكم العظيم ..

عاد الناس أدراجهم وأنصرفوا إلى شأنهم محرضين كل من يقابلونه ليتمثل بهم ..

قال مارلوس لصديقه : أرأيت كيف رجعوا نادمين ؟.. فلنستغل الفرصة لفض هذا الاحتفال المشين تعال ننزع الزينة من التماثيل المقامة فى الشوارع والميادين .. تعال نطرد العامة من الشوارع ونقنع الناس بالرجوع إلى بيوتهم .. حتى إذا ما جاء قيصر وجد الشوارع خالية من مستقبيله إلا من قلة قليلة من الأتباع وأصحاب المصالح الشخصية ..

وشرع الاثنان فى تنفيذ مخططهما الذى آتى ثماره فعالا .. فلم يبق لاستقبال قيصر سوى جمع قليل ..

وجاء قيصر تسبقه الأبواق .. دخل إلى روما مزهوا على عربته الحربية ومن خلفه كوكبة .. قادة الجيوش والجنود وحاملى الرايات

..وفى أحد الميادين حيث نصبت استراحة للقيصر المنتصر ، توقف الركب ونزل قيصر من مركبته واضعا يده محييا هؤلاء الذين حضروا لأستقباله .. وكانو بعض من استطاع مارلوس وزميله فلافيوس إقناعهم بالرجوع قد تراجعوا عن قرارهم وعادوا للانضمام إلى جموع المحتفلين فلم يلحظ قيصر سوى تلك الجموع المحتشدة ، وخيل إليه غروره إن تجمعهم الكبير ليس سوى دليل على الإعجاب والاحترام فى حين أن دافع أكثر من حضروا كان الفضول غالبا ..

.. جلس قيصر على مقعده المخصص له ..وبجانبه زوجته كلفورينا بينما أصطف القادة والجنود صفين منتظمين على جانبى الحاكم وزوجته .. وبينما كان رجاله يتشاورون فى برنامج الاحتفال إذ مال قيصر على زوجته قائلا :

– كلفورينا .. سيبدأ سباق الآن ، سباق للجرى وانطونيو سوف يكون من ضمن المشتركين فيه ..

فسألته كلفورينا بدهشة : وماذا تريد منى ؟..

أجابها قيصر : عليك أن تقفى فى طريقه يا كلفورينا حتى يلمسك .. فشيوخنا يقولون إن العواقر إذا لمسهن المتسابقون زالت عنهن لعنة العقم ..

ثم أمر أحد أتباعه بأستدعاء أنطونيو ، فلما حضر هذا قال قيصر :

– لا تنس فى سرعتك يا أنطونيو أن تلمس كلفورينا علها تنجب ..

أنحنى أنطونيو وهو يقول : سوف أتذكر يا مولاى .. سوف أتذكر..

رفع قيصر يده مانحاً الإذن ببدء الاحتفال .. فصدحت الموسيقى لتضيف جوا من الرهبة فى أرجاء المكان ..

.. وفجأة سمع الجميع صوتاً ينادى فى هذا الجو الصاخب ..

- قيصر .. !! قيصر ..

رفع قيصر يده .. فكفت الموسيقى عن الصدح ..ورفع رأسه مستطلعا الوجوه .. ثم رأى اثنين من أتباعه يسوقون رجلا مسناً أمامهم .. فلما أقتربوا منه قال أحدهم :

- ها هو يا مولاى من كان ينادى ..

خاطب قيصر الشيخ المسن قائلا : من أنت يا رجل ؟ وماذا تريد ؟..

أجاب الشيخ : أنا عراف يا مولاى ..وما جئت ألا لأحذرك ..

قال قيصر بدهشة : تحذرنى !.. من ماذا ؟..

فقال الشيخ بهدوء : أحذر يا مولاى يوم الخامس عشر من شهر مارس ..

قيصر : ماذا ؟.. ماذا تقول ..

أعاد الشيخ قوله : أحذر الخامس عشر من مارس ..

تلفت قيصر حـوله مستطلعا وجوه أتباعـه .. ثم تحول إلى الشيخ العجوز قائلا :

– أنت مـجنون ولاشك .. أى شئ فى الـدنيـا يجب أن يحـذر منه قيصر؟!..

ثم أمر أتباعه بصرفه وقال : لنستمر فى الاحتفال .. ولا يجب أبدا أن ينغص علينا كلام الشيخ المخبول ..

.. وعادت الموسيقى تهز أرجاء المكان ، وارتفعت الأصوات صاخبة وهى تتـابع السبـاقات والمبارزات التـى أعدت للاحتـفال بهـذه الليلة الكبيرة ..

فلما انتـهى الاحتفـال .. غادر قيصـر وموكبـه الساحة .. تتبـعه الهتـافات وصرخات المهـووسيين بشخصــه .. وبقى اثنان من رجال البلاط هـما بروتس وكاســيوس .. كـان الأثنان من أصدقـاء قيـصر المقربين ومن ذوى المكانة العالية فى روما .. فـقد كان بروتس قاضيا ذا حصانة يعرف الجـميع مقدار وطنيته وإخلاصه لرومـا ..كما كان كاسـيوس من رجال البـلاط المحترمين المعـروفين بثقـافتهم العـالية ومقدرتهم السياسية الفائقة ..

قال كاسيوس مخاطبا بروتس :

– أواه عزيزى بروتس .. مالى أراك مكتئبا مهموماً هذه الأيام ؟ ألا تذهب معنا حيث يواصل قيصر احتفاله بنصره الكبير !؟..

أجابه بروتس : اذهب أنت ياكاسيوس فـأنى لا أجد متعة تذكر فى مشاهدة الألعاب .. فلا تدع كـآبتى تمنعك من الحصول على ما تنشده من المتعة والتسلية ..

فقال كاسيوس متسائلا : ولماذا أنت مهموم إلى هذا الحد ؟..

أطرق بروتس برأســـه وقـال بصـوت خـافت :

– أن رأسى يكاد ينفجر من كثـرة الخواطر والأفكار التى تتزاحم بداخله .. الواقع يا صديقى أننى فى شبه حرب مع نفسى ..

فقال كاسيوس وهو يلمس صـدره : أنا أفهم ما يجول فى خاطرك وما يجـيش فى نفسك ، فـأنا مرآتك التى ترى فـيها نفـسك .. ولذلك سأكـشف لك ما تجـهله من أمرها وأنت تعلم تمامـاً مقـدار صدقى .. وأظنك على يـقين أيضـا من أننى لست الشـخص الـذى أنافق الناس وأظاهرهم ..

وقطع كلام كاسيوس هتافات وصيحات آتية من جهة القصر حيث يواصل قيصر أحتفاله .. فقال بروتس وهو يصغى لهذه الهتافات ..

– ما هذه الصيـحات !؟.. أخشى أن يكون الشعب قد اختـار قيصر ملكاً له ..

وتلقف كاسيوس الكلمة .. فقال مسرعا :

– تخـشى !؟.. هل أفـهم من ذلك أنك لا ترضى أن يكون قـيصـر ملكا؟..

أجاب بروتس بتلقائيه :

– لست أرضى بذلك يا كاسيوس .. مع أني أخلص أصدقاء قيصر كما تعلم ..

ثم قال بعد أن حدّج في صاحبه بنظرة متسائلة ؟..

– ولكن قل لى يا كاسيوس ..لماذا تحتجزنى كل هذا الوقت ؟ .. هل هناك ما ترغب فى قوله لى ؟.. إذا كان هناك أمر يخص مصلحة روما .. فأعلم أننى لا أخشى الموت فى سبيل تلك المصلحة ..

فأجاب كاسيوس مؤمنا على قوله :

– إنى أعرف هذا عنك تماما يا بروتس .. إن الشرف هو الموضوع الذى أجد فى نفسى دافعا للتحدث معك فيه .. أننى أفضل الموت على حياة أعيش فيها خائفا من شخص مثلى .. إنى ولدت حراً مثل قيصر وكذلك أنت .. كلانا يأكل مثلما ما يأكل .. كلانا يستطيع أن يحتمل برد الشتاء مثل ما يحتمل ..

نظر بروتس إلى كاسيوس وقد أدهشه هذا التدفق الغريب فى كلامه ، فى حين استطرد كاسيوس قائلا :

– أذكر أنه فى ذات يوم عاصف أضطرب فيه نهر " التيبر " .. سألنى قيصر إذا كنت أستطيع أن أثب معه فى ذلك الماء الغاضب .. فما كاد يتم كلمته حتى رميت بنفسى في النهر وأنا بكامل ملابسى وفعل مثلى .. ولكن قبل أن نصل إلى الضفة الأخرى من النهر وجدته

يصيح مستغيثا يطلب النجدة وإلا غرق .. وقد أنقذته بالفعل .. هل تذكر ماذا فعل عندما كان فى أسبانيا ؟.. لقد أصابته الحمى وكان يرتعد وشحب لونه وفقدت عيناه بريقهما وغدا كالصبية المريضة .. أرأيت يابروتس !؟.. إنه بشر مثلنا ..ومع ذلك فأنه كاد يصبح إلها .. وشخص مثلى عليه أن ينحنى بجسمه أمامه .. يالسخرية الأقدار .

مرة أخرى قطع حديث الرجلين صوت هتافات آتيه من ناحية القصر .. فقال بروتس معقبا :

– مازالت أنواع التكريم تنهال على قيصر ..

فقال كاسيوس ساخطا :

– ولم لا يا رجل .. إن قيصر مثل التمثال الهائل ونحن كالدمى أو الأقزام تحت ساقيه الضخمتين .. آه يا روما .. لقد عقمت عن إنجاب النبلاء !.. رجل واحد هو كل روما الآن .. وما أنت أيها البلد الكبير سوى غرفة يسكن فيها رجل واحد ..

كان كاسيوس يتحدث عن قيصر بلهجة تفيض بالحقد والسخط ..فهو يراه شخصا عاديا لا يستحق ما هو عليه الآن من مجد وسلطان ، وهو يحاول أن يستميل بروتس إلى حزبه المعارض لقيصر لذا أخذ يذم قيصر تارة ، ويمدح بروتس تارة أخرى فكان يقول :

– وأنت يابروتس يحبك الشعب ويثق فيك ، كما أنك محل احترام النبلاء وكبار رجال الدولة .. كيف لشخص تابه مثلك أن يرضى

بتصرفات قيصر المخجلة ؟.. كيف للوضيع أن يتحكم فى الرفيع ؟..
ولكن هل نقول هذا قدرنا !؟ هل نقول أن الخطأ فى طوالع نجومنا!؟

... كلا يا صديقى .. الأنسان هو من يصنع قدره .. هل تذكر چينوس بروتس * وهو يشبهك فى الأسم ، كيف طرد الطغاة أعداء البلاد !؟.. فليك هذا البطل المغوار مثالا لنا جميعا على رفض الواقع وقهر الطغاة .

كان بروتس يستمع إلى كلمات كاسيوس وهو على يقين تام من غرضه ولكنه وبصفاته الرزينة المتعقله قال مجاوبا إياه :

– إننى أكاد أخمن ما تهدف إليه يا كاسيوس ولا تظن أن أفكارا مثل أفكارك لم تطرأ على ذهنى ولكن من طبعى التدبر والتريث ولا أحكم على الأمور إلا بعد دراستها دراسة مستفيضة .. لذا أناشدك أن تتركنى فتره مناسبة أتناقش معك بعدها فى تلك الأمور العظيمة ولكن اعلم يا صديقى أن بروتس يفضل أن يكون أى شئ إلا أن يكون أبنا لروما وهى على مثل هذه الحالة المزرية ..

أجابه كاسيوس فرحا : يسرنى أن كلماتى الضعيفة قد أحدثت فيك هذا التأثير يا بروتس ، حتى لو كان ضعيفا .. ثم سمع الاثنان صوت خطوات تقترب تصحبها صيحات وتهليلات فقال بروتس :

---

* يتحدث كاسيوس هنا عن قائد رومانى هو چينيوس بروتس .. الذى حارب أسرة تاركوين التى بغضها أهالى روما ، ويحاول كاسيوس أن يثير حمية صديقه بروتس بذكره له ..

– ها هو ذا قيصر عائد ..

فقال كـاسيوس وهو يشخص ببصـره .. نعم .. ها هو قادم وسط حاشـيته وأتبـاعه .. فلنحاول أن نسـتفسـر من كاسكا عن مـجريات الأمور وسبب تلك الهتافات التي نسمعها بين الحين والآخر ..

وجاء قيصر وحاشيته .. كان يبدو غاضبا ، شاحب الوجه ، عابس القسـمات .. وامرأته كلفورينا مـثله وكذلك بقية حـاشيته وأتـباعه .. الأمر الذي أثار دهشـة الاثنين اللذين رمقهـما قيصـر بنظرة ساخطة وهو يمر من أمامـهما لم يفـهما معناها وإن كـانا قد أيقنا أن قيـصر على غير حالته الطبيعية ..

قال كاسيوس هامساً : لابد أن أمرا عظيما قد وقع أثناء الاحتفالات أين كاسكا ليخـبرنا ؟.. أين هو ..؟وأخذ يتلفت حوله .. فـوجد كاسكا يسير خلف قـيصر مع الحاشيـة والأتباع فأشار إليه أن يأتي إليـهما وبادله كـاسكا الإشارة بإيماءة من رأسـه .. أما قيـصر وقـد أبتـعد قليلا فقد صاح ينادي :

– أنطونيو ..

فأتاه أنطونيو على وجه السرعة قائلاً : ماذا تريد يا قيصر ؟..

همس قيـصر في أذنه وهو يشير بـعينيه إلى كاسـيوس وبروتس قائلا بصوت خفيض :

– هل ترى ذلك الكاسيوس هناك ؟.. أن رؤية هذا الرجل تقلقني ..

فقال أنطونيو : كاسيوس !!.. أخالفك رأيك فيه يا مولاى إنه روماني نبيل كما أنه طيب السريرة ..

فأجابه قيصر : أنا لا أخشاه ، فأنت تعلم أن قيصر لا يمكن أن يخاف أبدا .. ولكن رؤيته تزعجني .. فهو قلما يبتسم كما لا يمكن لأحد أن يسبر غور أعماقه ..ومن مثل هذا الرجل قد يأتي الخطر .. تعال معى فأنا أريد أن أسمعك رأيك كاملا فى هذا الشخص ..

وأبتعد قيصر وأنطونيو ومن خلفهما الأتباع ..وتخلف كاسكا استجابة لطلب كاسيوس .. فلما اطمأن إلى خلو المكان هرع إلى كاسيوس قائلا :

– ماذا تريد يا كاسيوس ؟..

قال كاسيوس : ماذا حدث اليوم حتى صار قيصر على هذه الحالة من الغضب والوجوم ؟..

أجاب كاسكا : لقد حاول أنطونيو تتويج قيصر ملكا على روما ..ولكنه رفض التاج ثلاث مرات متعاقبة وفى كل مرة يرفض فيها التاج كانت جموع الناس تهتف وتصفق فى حماس منقطع النظير ..

قال بروتس بدهشة : كيف حدث هذا .. إلينا بالتفاصيل يا كاسكا .

أجاب كاسكا : لقد رأيت أنطونيو يقدم إكليلا من الزهور لقيصر .. ولكن هذا أبعده بيده رافضا إياه وأن كان لا يخفى عليّ أنه كان يريده

..وكرر أنطونيو المحاولة مرة ثانية ..وثـالثة ولكن قيصر فى كل مرة كان يبعد التاج بيده ..وكـأنه زاهد فيه وقد فعل تمثيله الظاهر ذلك فى نفوس المحتشـدين فعله .. فتعالت الصرخات والهتـافات تمجيدا لذلك الكريم الذى يرفض تنصيبه ملكا .. هل رأيتـما مدى دهاء هذا العجوز .. بل وأكثـر من ذلك .. فقد سـقط – قيصـر – على الأرض مغشـيا عليه .. وخرج الزبد من شدقيه وأحتبس صوته فبدا مثل الأموات ..

قاطعه بروتس قائلا : ربما كان هذا حقيقيا فهو مصاب بالصرع ..

فقال كاسيـوس : الصرع !!.. ربما كنت أنا وأنت وكاسكا مصابون بهذا الداء .. أما قيصر فلا ..

تجاهل بروتس ملحوظة كاسيوس وعاد يسـأل كاسكا :

– وماذا قال قيصر حين عاد إلى رشده ؟..

قـال كاسكا : وقف الـثعلب العـجـوز وفتح مـلابسـه ليكشف عن صدره العارى .. وقدم لهم حنـجرته ليقطعوها قائلا :

– إنه يقدم روحه فداءا لشعب روما الـذى يخشى غضبه ويحرص على مصلحته .. وأن كان قد أغضب الناس فى شىء أو بقول أو بفعل فهو يرجوهم أن يرجعوا هذا إلى مرضه ..

صاح كاسيوس : ياله من مـمثل قدير ..

هز كاسكا رأسه موافقا ثم أضاف :

– نعم .. وقد أتى فعله برفض التاج ، وقوله حين أفاق ثماره .. جن

الناس وعلت صرخاتهم التشنجه وأخذوا يهتفون بحياته ولشخصه ..

نظر كاسيوس إلى برتوس وكأنه يؤيد كلامه السابق معه بالتفاصيل المخزية التى نقلها كاسكا إليهما .. ثم عاد كاسيوس يسأل كاسكا : وشيشرون .. ماذا فعل وسط هذه الأحداث ؟..

قال كاسكا : الخطيب شيشرون !؟.. لقد تكلم وسط الناس باللغة الإغريقية التى لا يفهمها أكثرنا لذلك لم يستوعب أحدا من خطابه شيئا ولكن .. عندى لكم نبأ أخر .. هل تعرفان مارلوس وفلافيوس ؟..

قال كاسيوس : نعم .. ماذا حدث لهما !؟..

قال كاسكا : لقد صدر الأمر باعتقالهما جزاءا لهما على نزع الزينات من تماثيل قيصر وزجرهما للعامة الذين جاءوا لأستقباله ..

تحول كاسيوس إلى بروتس قائلا : أرأيت كيف تكمم الأفواه وتخرس الألسنة فى روما !!؟..

ثم التفت إلى كاسكا قائلاً : هل يمكن أن أراك على العشاء الليلة يا كاسكا ؟..

أجاب كاسكا : لا .. ولكننى أقبل دعوتك للغداء غدا .. هذا إذا قبلت وأن كان عندك ما يؤكل ..والأن وداعا لكليكما فإنى على موعد غدا ..

ذهب كاسكا لحاجته بينما كان بروتس يقول :

– لقد صار هذا الفتى بليدا خاملا مع إنه كان فى غاية الذكاء والتوقد أيام الدراسة ..

فقال كاسيوس مدافعا : لا يغرنك مظهره يا بروتس فما زال كاسكا هو رجل الشدائد وما يتظاهر به من بلاهة أحيانا فهو من توابع فطنته إذ إنه بذلك يجعل الناس يتقبلون كلامه ، كما يجعلهم يفضون بأسرارهم له طائعين ..

أجاب بروتس متشككا : ربما هو كما تقول ، والآن يا عزيزى كاسيوس اسمح لى بالانصراف على أن ألقاك غدا فى دارى أو دارك لنستكمل سوية ما تحدثنا عنه ..

ثم ودعه بروتس وأنصرف فى حين كان كاسيوس يقول لنفسه :

– ستكون كسبا عظيما لنا يا بروتس ، فالشعب يحبك والقيصر يثق فيك .. ما على الآن إلا بذل مزيد من الجهد لضمك إلينا .. سأقوم بقذف خطابات من نوافذك بخطوط مختلفة وكأنها جاءتك من مواطنين مختلفين يبثون لك فيها شكواهم .. ونفورهم من أفاعيل قيصر .. وبعد ذلك نرى ما ستفعله مع هذا المأفون ..

ثم غادر المكان وهو مازال يحدث نفسه :

– أما أن يموت قيصر .. أو يحل الخراب بروما ..

صار واضحا الآن أن كاسيوس – أيا كانت دوافعه – يخطط للإطاحة بقيصر مشركا معه زمرة من المعارضين لسياسة ذلك

الحاكم القـوى ..وهو يهمه جـدا فى المقام الأول أن يضم بروتس إلى حـفنة المتـآمرين تلـك ذلك لأن بروتس بما له من أصل كـريم ومنبت نبيل قد يـعطى - باشتراكه معـهم - لمؤامرتهم معنى وطنيـا خالصا فهـو حبيب الشعب ومن أصـدق أصدقاء قيـصر نفسه فلو شـاركهم العصـيان ، ولو أطاح معـهم بالقيـصر ، لتيـقن الشعب أن حاكـمهم يســتحق مـا آل مـصيـره وأن الخـير كل الخـير هـو ما فـعله هؤلاء الوطنيون الشرفـاء !!.. كان بروتس إذن فى حالة موافـقته على خطة كـاسيـوس هو الواجهـة المناسـبة والـعـنوان الملائم لما ستـجىء به الأيام ..

.. أنتصف ليل رومـا ..وعم السكون والظلام .. وأقفـرت الشوارع والميادين من المارة ..وبـدا الجو كئـيبا مـتجهـما ، زاد من ذلك هطول الأمطار بغزارة وسط هزيج الرعد ووميض البرق ..

.. وكان كـاسكا يسـير وحـده وسط هذا الطقس الرديئ .. وإذا به يقابل شيشـرون الخـطيب اليونانى الشـهير .. والذى ابتدره قائلا :

- عمت مسـاءا يا كاسكا ؟.. هه .. هل شيعت قـيصر إلى دراه ؟.. مالى أراك مبهور الأنفاس ؟ هل هناك خطأ ما ؟..

أجابه كاسكـا : ألا يروعك ما يحدث أيها الحكيم شـيشرون ؟.. ألا ترى الطبيعة غـاضبة ؟.. إن السماء غاضبة وتعلن عن غـضبها بهذا الرعد يصم الآذان وهذا البـرق يعمى العيـون ..ولو سألتنى عن رأيى الخاص فإن حرباً أهلية تلوح فى الأفق .. علاماتها ماشاهدته اليوم

وما شاهده الناس معى ..

سأله شيشرون متعجبا – وماذا رأيت ؟..

أستطرد كاسكا : رأيت الكثير .. رأيت رجلا يجرى رافعا يده المشتعلة .. واللهب لا يؤثر فيه ولا يحرقه ..ورأيت أسدا مكشرا عن أنيابه آتيا من ناحية الكابيتول * يسير وسط الناس ولا يفترسهم ..ورأيت أيضا مجموعة من النسوة شاحبات الوجوه كالاشباح يقسمن أنهن شاهدن رجالا تغطيهم النار وهم يمشون جيئة وذهابا فى الشوارع أليس كل ذلك دليلاً على خطر كبير تنتظره روما ؟..

قال شيشرون : هذه خرافات لا أظنك تصدقها يا كاسكا ..

فقال كاسكا محتجا : خرافات لا أقول لك أننى شاهدتها بعينى .. ثم ألم تر أنت نفسك أسراب البوم وهى تملأ الأسواق فى الصباح بعكس عاداتها .. ألم تسمع نعيقها وولولتها ؟ .. ألسنا نعلم جميعا أن طيور الظلام هذه نذير شؤم وخراب ..

فقال شيشرون : حقا إن ما تقوله غريب ..ولكن .. هل سيحضر قيصر اجتماع الكابيتول غدا ؟..

هز كاسكا رأسه قائلا : نعم .. لقد سمعته يأمر أنطونيو بإخطار الشيوخ بحضوره ..وأنت منهم وربما كان أنطونيو يبحث عنك الآن

---

* معبد الآله جوبيتر ..

ليخـبرك بعزم قيـصر على الحضـور .. والآن .. أسـتودعك الله يا شيخنا الموقر فالجو بهذه الصورة يستلزم أن نبقى فى منازلنا ..

وأفترق الاثنان وسار كل منهمـا فى طريقه ، وبينما كاسكا يمشى وحيدا فى تلك الطرقات الموحشة إذ به يسمع صوتا يناديه ..

– كاسكا .. كاسكا ..

وألتفت كاسكا إلى مصدر الصوت ، فوجد كاسيوس عارى الصدر وقد ابتل جسمه كله ..

كاسكا : كـاسيوس !! .. لماذا تسـير بهذه الهـيئة فى جـو عاصف مطير؟..

أجـابه كاسـيوس : تلك ليلة خـطرة ..ومع ذلك فقـد طفت فى كل شوارع روما وقد فككت أزرارى كما ترى .. عريت صدرى للصواعق كى أجعل نفسى هدفا سهلا لها ..

فقـال كاسكا متعـجبا : ولماذا تتـحدى السماء ؟ أن أغنى البـشر لا يملك أن يتحدى رغبات الآلهة ..

فقال كاسيوش مبتسـما : مازلت غرا يا كاسكا .. لا تعرف خصال الرومانى الحقيـقى .. ها أنت شاحب الوجه يغطى الخوف رأسك ولم تكلف نفسك حتى السؤال عن سبب غضب الآلهه وتذمر السماء .. أن ما تراه الآن ليس إلا رسالة على الفطن أن يفهم مغزاها ..

فقال كاسكا متعجبا : وما هو مغزاها ؟..

ربت كاسيوس على كتف زميله برفق قائلاً :

– ما أشبه هذه الليلة برجل نعرفه .. يرعد ويبرق .. يشق الضوء ويزأر كما يفعل الأسد الذى يقول الناس أنهم شاهدوه فى الكابيتول ..رجلا ليس أقدر منى ولا منك فى شىء وهو مع ذلك قد غدا شرا منذرا وخطرا فائقا تماما مثل هذا الظواهر الشاذه الذى حكى عنها الناس ..

فقال كاسكا ذاهلا : أنت تقصد قيصر .. أليس كذلك ؟..

استطرد كاسيوس يقول بحماس زائد :

– نعم .. قيصر .. الذى ما كان ليصير ذئبا لولا أنه لا يرى الرومانيين إلا نعاجا ..وما كان ليغدوا أسدا لو لم يكن الرومانيون وعولا ..

قال كاسكا وقد تأثر بحماس كاسيوس :

– يقولون أن قيصر سيذهب إلى الكابيتول غدا حيث سيتوج ملكا على روما ..

رفع كاسيوس خنجرا استله من خاصرته ..وقال :

– أنا أعرف أذن أين سأغمد ذلك الخنجر ! سيحرر كاسيوس نفسه من الاسترقاق ولن أهتم بقيصر وسلطانه .. فلا البروج من الحجر ولا الأسوار من النحاس الأصفر المطروق ،ولا حتى غياهب السجون التى لا يدخلها الهواء ولا الأغلال المحكمة من الحديد بقادرة

على الصمود أمام قوة الروح .. فليعلم العالم كله أن كاسيوس قد صمم على رفع الظلم عن كاهله ..

سرى الحماس فى بدن كاسكا فصاح : وأنا أيضا .. وكذلك كل حر شريف ..

التقط كاسيوس الكلمات التى فاه بها كاسكا فى نوبة حماس .. وحدَّج فى زميله بنظرة فاحصة ثم قال بصوت هادىء :

– أنا أعلم يا كاسكا إنك من رجال قيصر المقربين ..ومع ذلك فأنا لا أتحوط جيدا فى الحديث معك .. و قاطعه كاسكا قائلا :

– أنت تتحدث إلى كاسكا .. إلى رجل ليس بالواشى أو الخائن .. هاك يدى لأعاهدك ثم تصافح الاثنان وقال كاسكا بحرارة :

– قسما أننى معك لنقضى على كل هذه المآسى وسأكون لك فى ذلك خُير المعين النصير ..

.. وهكذا نجح كاسيوس فى ضم كاسكا إلى زمرة المتآمرين بقيصر .

أستطرد كاسيوس : آن الآوان كى تتخلص روما من رقبة هذا الطاغية المستبد .. آن للشرفاء أن يتحدوا لهزيمة الشر ..

وبينما هما فى ذلك الحديث الخطير .. إذ أتى سينا وهو أحد رجال البلاط .. فقال كاسيوس :

– مرحبا ياسينا .. إلى أين أنت ذاهب ؟..

فقال سينا وهو يرمق كاسكا بارتياب :

– كنت أبحث عنك .. من هذا المحترم ؟..

فأجاب كاسيوس : إنه كاسكا ..وهو شريك لنا ..

فقال سينا مصافحا كاسكا :

– يسرنى لقاؤك .. يالهذه الليلة المخيفة .. إن الناس كلهم يتحدثون على المشاهد العجيبة التى رآوها ..

فقال كاسيوس وهو يدس فى يد سينا برزمة من الأوراق :

– خذ هذه الأوراق وضع بعضها تحت مقعد بروتس بالمجلس .. وثبت بعضها الآخر على قاعدة تمثال چينيوس بروتس القديم .. وما تبقى لديك ألقه من نافذة غرفة بروتس بمنزله .. فإذا فعلت كل هذا .. ألحق بنا عند رواق بومبى .. فسنجتمع هناك ..

فقال سينا وهو يخبئ الأوراق داخل طيات ثيابه :

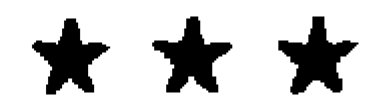
– سيكون نصرا عظيما لنا لو استطعنا ضم بروتس إلى زمرتنا ..

فقال كاسيوس : طب نفسا يا سينا الكريم .. سنذهب أنا وكاسكا إليه فى بيته ولن تطول مقاومته فهو ساخط مثلنا بحيث أستطع أن أؤكد لكما إن ثلاثة أرباعه لنا الآن ..

علق كاسكا : إن له منزلة سامية فى قلوب الناس أجمعين ..وما

سيعتبره الناس سفاهة منه ، سيعتبرونه فضيلة لو شاركنا فيه ..

فقـال كاسيـوس : فلتذهب ياســينا إلى حيث أمرتـك .. أما نحن يا كاسكا .. فهيا بنا إلى بروتس ..



الفصل الثانى

فى تلك الليلة الصاخبة والتى أعتبرها البعض نذير شؤم ورسول خراب .. كان بروتس يجلس وحده فى أحد مقاعد حديقة داره .. كان يقلب الأمور فى رأسه ويزنها .. لم يجد رغبة فى النوم وفكره مشغول بذلك الكم الهائل من الأفكار والخواطر .. ولما وجد النوم مستعصياً رفع صوته مناديا خادمه لوسيوس فلما أتاه قال له :

– أئتنى بشمعة واذهب بها إلى مكتبى ثم تعال إلى هنا ..

انصرف لوسيوس لتلبية حاجة سيده .. وبقى هو فى مقعده وسط صخب الطبيعة يفكر ..

.. نعم .. لقد أصبح موت قيصر واجبا مع أننى لا أُحمل له ضغينة شخصية ، ولكن مصلحة روما تقتضى ذلك .. إنهم يريدون تتويجه ملكا وهذا ما ينذر بالخطر الشديد .. لأن قيصر .. إن علا وساد أدار ظهره لروما ، وتطلع إلى السماء مزدريا بالشعب وبهؤلاء الذين صعد على أكتافهم أن المصلحة العامة تحتم منعه من الوصول إلى هذا الهدف وكيف ؟ .. لقد أسكرته كلمات المدح وأفعال المنافقين وهو الخطأ الذى يقع فيه الطغاة دائما ..

وبينما هو فى شـروده مع هذه الأفكار المتزاحمة ..جـاء لوسيوس قائلا وهو يحمل ورقة ..

– لقد أضأت الشمعة فى مـخدعك يا سيدى .. ولكننى وجدت هذه الورقة أسفل النافذة ..

تناول بروتس الورقة متعجبا ثم صرف خادمه بعد أن سـأله ..

– أليس غدا الخامس عشر من مارس يا لوسـيوس ؟..

فأجابه لوسيوس : لا أعلم يا سيدى ..

بروتس : أنظر فى التـقـويم وتعـال أخبـرنى .. وبعـد ذلك يمكنك مواصلة نومك ..

انصرف الخادم .. ففتح بروتس الورقـة واجتهد فى قراءتها وسط الظلام مستـعينا بنور الشهب التى كانت تنقض فى الفـضـاء .. وكان فيها .

" .. بروتس ، أنت نائم فـاستـيقظ ، أبصـر نفسك ، أبصـر حال شعـبك هل على روما أن تبقى دائمـا ذليلة يلفها الهـوان ؟.. هل كتب على مواطنيها الرضاء بالقمع والاستبداد ؟.. أنت نائم يابروتس ..وقد حان موعد استيقاظك .. استيقظ لتعيد الأمور إلى مسارها الصحيح .. من أولى بذلك منك ؟ أنت يا صاحب المجد والشرف ويا حفيد الأبطال العظام .. هب من رقـدتك وقوم بيـدك كل ما هو مـعوج وسقـيم فى روما العظيمة التى كتب عليها أن تستجدى رضاء رجـل واحـد ، وأن

تخشى رجلا واحدا اضرب ضربتك يابروتس لتعيد إلى روما مجدها القديم وأعتبارها بين الأمم " ..

.. طوى بروتس الورقة وقال لنفسه :

– أواه يطلب منى كاتب هذه الرسالة أن أهب لنجدة روما ؟ .. أيا روما .. إننى على استعداد لبذل حياتى فى سبيل رفعتك ومجدك ..

وجاء خادمه لوسيوس قائلا : لقد نظرت التقويم ياسيدى .. والواقع أن شهر مارس قد استهلك أربعة عشر يوما ..

فقال بروتس : إذن فالغد هو الخامس عشر ..

قالها شاردا .. مرددا .. ثم أمر خادمه بالأنصرف .. وبُقى وحده مرة أخرى يفكر ..

إن كلمات كاسيوس مازالت تدوى فى أذنى .. وهى نفسها التى أشعلت فى نفسى حربا داخلية .. فليك قرارى الذى أتخذه نابعا من حب روما .. فليهلك كل اعدائها .. وليمح من الوجود اسم كل من يغلب مصلحته الشخصية على مصالح وطنه ..

وجاء لوسيوس مرة أخرى ..

– سيدى بروتس .. إن السيد كاسيوس على الباب ..وهو يطلب رؤيتك ؟..

فسأله بروتس .. هل جاء وحده ؟..

لوسيوس : بل معه آخرون لا أعرفهم ..

بروتس : أدخلهم يا لوسيوس ..

ذهب الخادم .. ثم عاد يتبعه كاسيوس ومجموعة من الرجال قد أخفوا وجوهم تحت ياقات أرديتهم وقبعاتهم ..

أشار بروتس إلى لوسيوس بالانصراف ثم تحول إلى كاسيوس قائلا :

– مرحبا بك ياكاسيوس ..

فقال كاسيوس معتذرا : أظننا قد اعتدينا على راحتك بمجيئنا فى مثل هذا الوقت من الليل ..

أجاب بروتس : لا عليك .. فأنا لم أستطع النوم ..

ثم أشار برأسه إلى مرافقيه قائلا : هل أعرف هؤلاء السادة الذين أتوا معك ؟..

فقال كاسيوس مسرعا : نعم .. تعرفهم جميعا وهم يعرفونك أيضا ..

وأشار كاسيوس إلى كل واحد منهم قائلا : هذا ديسيوس ، وهذا كاسكا وهذا سينا .. وهذا متلوس ..

رحب بروتس بالقادمين وكان يعرفهم فقد كانوا نخبة من رجال روما المعروفين ..

قال كاسيوس : هل تسمح لى بالكلام معك .. على إنفراد يابروتس ..

ابتعد كاسيوس ببروتس وقال له هامسا :

– هه .. هل وصلت إلى قرار !؟..

فقال بروتس : أنا معكم ..

تهلل وجه كاسيوس ونظر إلى أصحابه يبشرهم بابتسامة فأسرع كاسكا يقول :

– لنتعاهد إذن ..

ولكن بروتس قال : لا .. فلنتصافح .. فنحن لسنا بصدد مؤامرة نقصد منها سفك الدماء فحسب ، بل نحن نفعل ما سنفعله فى سبيل مصلحة روما ..

فقال كاسيوس : صدقت يابروتس .. ها هو جمعنا فى دارك .. فلنضع التفاصيل الآن ..

لكن كاسكا قال : ينقصنا شيشرون ..

فقال متلوس : نعم .. إنه شخصية هامة جدا .. فهو يستطيع بأسلوبه الخطابى أن يستميل القلوب ويجعل ألسنة الناس تشيد بفعلتنا ..

لكن بروتس رفع يده قائلا : دعوكم من شيشرون ، فأنا أعرفه

جيدا ، إنـه شخص صالح ورجل عظيم ولكنه أبداً لا يقبـل الأشتراك فى أمر بدأه غيره ..

.. وافق الجميع على كلام بروتس .. وسأل ديسيوس ..

– هل سنقتل قيصر وحده .. !؟..

وجم الجميع وقد أثار سؤال زميلهم حيـرتهم ودهشتهم .. فقيصر محاط بالأعـوان والمصاحبين له فى كل مكان ..فمـاذا هم فاعلون إذا حتمت الضرورة قتل آخرين ؟..

قال كاسيوس : أرى أن يقتل أنطونيو أيضا .. فلو لم نفعل استطاع ذلك الماكر أن يلحق الأذى بنا جميعا ..

ولكن بروتس قال :

– إذن فـأنت تريد أن نسـيـر فى طريق الدم يا كـاسـيـوس .. إن أنطونيو ما هـو إلا طرف من أطراف قيصر .. وقتل أنطـونيو سيكون بمثابة التمثيل بجثة قيصر ..

ثم تحول إلى بقية الزمرة المتآمره قائلاً :

– نحن لا نـريدها بحـــار ا من الدم المـراق .. فكلنا نـناهض روح قيصـر فقط .. آه لو استطعنا أن نفتك بروحـه دون قتله .. مادام هذا مسـتحيلا فليك قـيصر فقط هو مـرادنا .. نريد أن نقتله شجـعانا لا غاضبـين حاقدين يجب أن ينظر إلينا الناس بعـد فعلتنا نظراتهم إلى المطهرين وليس السفاكين ولا تخافوا شر مارك أنطونيو .. فلن يكون

فى مقدوره أن يفعل أكثر مما تفعل نراع قيصر بعد الإطاحة برأس قيصر ..

هز كاسيوس رأسه متشككا وقال :

– مع احترامى لرأيك يا بروتس .. فإنى أرى فى أنطونيو خطرا كبيرا ..

فأجابه بروتس : لا تفكر فيه .. فإنه إن كان يحب قيصر بالقدر الذى يحكى عنه .. فأن غاية ما سيفعله هو الحزن عليه حتى يهلك هو نفسه وإن كنت أشك فى استسلامه للحزن إلى هذه الدرجة فهو يقضى حياته كلها فى اللهو والمزاح ومعاشرة الحسناوات ..

اتفق المتآمرون على أستبعاد أنطونيو من مخططهم وبقيت بعض التفاصيل أخذوا يتناقشون فيها ويتبادلون الأراء عنها حتى قال كاسيوس :

– والأن بعد أن أعددنا خطتنا .. بقى أن نعرف هل سيخرج قيصر غدا أم لا .. فالجميع يقولون إنه قد أصبح مستطيرا يصدق كل ما يقوله العرافون والمنجمون ..

فقال ديسيوس :

– لا تخشوا هذه المسألة .. فأنا كفيل بإقناعه بالذهاب إلى الكابيتول .

سأله بروتس : كيف !؟..

قال ديسيوس ضاحكا : إن قيصر يحب حديثى وأنا أعرف جيدا كيف أزيل أوهامه وأحركه إلى حيث أريد ..

فقال سينا : لقد تلاشت مشاكلنا على ما يبدو .. فليكن اجتماعنا غدا فى الساعة الثامنة تماما ..

قال كاسيوس : نعم .. هذا موعد مناسب تماما .. والآن ..أنصرفوا متفرقين ..

وأضاف بروتس : أصطنعوا الانتعاش والمرح ..ولا تدعوا نظراتنا تشى بنوايانا .. هيا ..وداعا أيها السادة ..

وأنصرف الجميع ..وعاد بروتس وحده إلى غرفته ..وإذا به يرى بورشيا زوجته فى انتظاره ..

– بورشيا .. ماذا أيقظك فى هذه الساعة ؟..

أجابت بورشيا : وماذا أيقظك أنت أمس واليوم ؟.. أنى أراك كئيبا مهموما .. وقد حرمك الهم الطعام ومنعك الكلام والمنام ؟.. تكلم يا بروتس .. أفض إلى بسبب شجنك ..

أجابها بروتس : إن بى وعكة طارئة .. هذا كل ما فى الأمر ..

فقالت بورشيا غير مصدقه : هل سيدى عليل ؟.. إذن كيف للعليل أن يسير مفكك الأزرار ؟.. يمتص رطوبة الصباح ؟.. كيف تكون عليلا وأنت لا تنام ولا تأكل .. لا يابروتس أنت تخفى أمرا ..

ثم جثت على ركبتيها راكعة وهى تقول :

- ها أنا راكعة .. أستحلفك بجمالى الذى كان موضع إطرائك دائما أستحلفك بكل عـهود الحب التى قطعتهـا .. بح لى بسر همومك .. قل لى من هؤلاء الأشخاص الملثمين الذين استقبلتهم ؟..

مد بروتس يده رافعا بورشيا قائلا :

- لا يجدر بك فعل هذا يا حبيبتى ..

فقالت بورشـيا ضارعة : أى أمر تخفـيه .. وهل يخفى الزوج على زوجته أمرا !؟.. إذا كنت تعتقـد أننى أمرأه لا تقوى على حفظ سر .. فأنـت بذلك مخطئ .. فـقد خـبرتنى وعـرفت مقـدار صلابتى وقـوة أحتمالى .. هل أنا عشيقتك أم زوجتك يا بروتس ؟..

قال بروتس : أنت زوجـتى .. وعزيزة على .. ولكن أتـركينى الآن على وعد منى بمشاطرتك أسرار قلبى .. سأبوح لك بكل شىء .. فقط أتركينى الأن أيتها المبجلة ..

أطاعت بورشـيا .. وذهبـت إلى مخـدعهـا .. بينمـا وقف بروتس لبرهه يفكر فى كل ما سمعه وما لاقاه فى الليلتين السابقتين فقط من عمره واللتين تتـجاوزان فى أحداثهما كل مـا سبق وإن تعرض له فى حياته ..

★ ★ ★

.. فى حجره نومه .. كان قيصر مرتديا لباس النوم .. جالسا على

مقعد منصتا لأصوات الرعد .. مراقبا لومضات البرق .. كان شارد الفكر مستغرقا فى خواطره ..

.. ما هذه الليلة الليلاء !؟.. لم تعرف السماء ولا الأرض السلام فيها !؟.. يالها من ليلة صاخبة مرعبة تبعث على الكآبة والقلق .. ثم ثلاث مرات تستيقظ فيها كلفورينا من نومها وهى تصرخ .. النجدة .. أنهم يقتلون قيصر .. النجدة ..

أى رؤى خبيثة تلك ؟.. وهل من مغزى لها !؟.. أم هى مجرد أضغاث أحلام كتلك التى تأتى النيام فحسب ..

.. كان يحس فى نفسه قلقا مريعا لا يعرف مصدره وباعثه وقد زادت حالة الجو الفظيعة من قلقه ..

صاح بخادمه الواقف على الباب .. وأمره بأن يذهب إلى الكهنة ويأمرهم بأسمه بتقديم قربان للألهة ..

ثم يقرؤون طالعه .. فذهب الخادم لتنفيذ أمر سيده ..

ودخلت كلفورينا زوجته قائلة :

– مولاى قيصر .. مالى أراك مهموما عابسا ؟..

أجابها قيصر برفق : لا شئ يا كلفورينا .. كل ما فى الأمر أن صوت الرعد يقلقنى ..

فقالت كلفورينا تسأله : أظنك لا تفكر فى الخروج اليوم !؟..

أجابهـا قيصـر : لا .. سيخـرج قيصـر .. لا تظنى أننى أعتـقد فى الخرافات والخزعبلات ..

لكن كلفورينا أسرعت ترتمى فى أحضانه باكية ، هى تقول :

– قيـصر .. زوجى وحـبيبـى .. أنا مثلك لا أحفل بـالطيره * ..ولم أضع لهـا حسبـانا فى حيـاتى أبدا ..ولكن الناس تتـحدث عن أشـياء غريبة أظنها نذير شؤم وإعلان خراب ..

قال قيصر متسائلا : ماذا يقول الناس ؟..

أضافت كلفورينا وهى مازالت تبكى :

– إن الناس يتحـدثون عن رؤيتهم للبـؤة تلد أشبـالها على قـارعة الطريق وقبور تتثاءب لتلفظ موتاها ..

ضحك قيصر قائلا : وهل تصدقين هذه الخزعبلات ياكلفورينا ..

قالت كلفورينا : نعم .. أن هذه الظواهر الخارقة ما كانت لتحدث الا للتحذير من أمر خطير يمس شخصك ..

فأجـابها قـيصر : إن هـذه الـظواهـر تخص كل الناس ولـيس أنا فقط ..

كلفورينا : وهل تهتم السماء بمولد أو موت شحاذ !؟ لا .. ما كانت السماء لتغضب الا لتحذير عظيم ..

---

* والطيره : الفأل الردئ أو التشاؤم ..

وهنا جاء الخادم الذى أرسله قيصر للكهنة فبادره قيصر بالسؤال :

- هه .. ماذا يقول الكهنة ..

قال الخادم مترددا : أنهم لا يرون أن تخرج اليوم يا سيدى .. فقد نزعوا أحشاء الضحية .. فلم يجدوا من ضمنها قلبا ..وهذا نذير شؤم فى نظرهم ..

صاحت كلفورينا مذعورة .. بينما قال قيصر :

- شاه بلا قلب ؟.. هذا لا يصدق ..

ثم أستوى واقفا وهو يقول بإصرار :

- سيكون قيصر هو الشاه التى لا قلب لها لو قبعت فى بيتى اليوم .. كلا .. أن قيصر لن يفعل ذلك .. فليعلم الجميع أن قيصر أشد من الخطر نفسه .. بل وليعلم الخطر أننى شقيقه الأكبر والأخطر .. سيخرج قيصر اليوم ..ولن يمنعه فى سبيل ذلك مانع ..

صاحت كلفورينا :

- إن أعتدادك بنفسك قد أفسد عقلك يا قيصر .. لا تخرج اليوم .. أتوسل إليك الا تخرج ثم جثت على ركبتيها راكعة وهى تقول باكية :

- قل لهم إن خوفى عليك هو الذى ألزمك الدار .. لترسل أنطونيو إلى الشيوخ المجتمعين فى الكابيتول ليقول لهم إنك مريض .. أتوسل إليك الا تذهب ..

.. نظر قيصر إلى زوجته الراكعة عند قدميه .. ورق قلبه لتوسلاتها الحانيه .. فربت على كتفيها قائلا :

– أنهضى ياكلفورينا .. وليكن ما تريدين !؟..

هبت كلفورينا واقفه وهى تقول :

– أحسنت بقرارك هذا ياسيدى ..

فقال قيصر : وكما قلتِ .. سأكلف أنطونيو بتبليغ الشيوخ باعتذارى ..

.. جاء الخادم معلنا قدوم ديسيوس ..

فقال قيصر : فليخبرهم ديسيوس أذن بذلك ..

دخل ديسيوس .. فوجد كلفورينا وقد تورمت عيناها من أثر البكاء .. فتجاهل سؤالها عن سبب ذلك ووجه حديثه إلى قيصر قائلا :

– لك أزكى التحية يا قيصر .. لقد جئت كى أصحبك إلى مجلس الشيوخ ..

فأجابه قيصر : ولقد جئت فى الوقت المناسب ياديسيوس .. فهناك رسالة أريدك أن تبلغها لهم ..

فقال ديسيوس : رسالة !؟.. ألن تذهب يا قيصر !؟..

أجاب قيصر : بلى لن أذهب عليك أن تبلغهم هذا ..

ديسيوس : وإذا سألونى عن السبب ..؟..

قال قيصر وكأنه يحدث نفسه :

– إذا قلت لهم قيصر لايستطيع المجىء .. فهذا بهتان ..وإذا قلت لهم إن قيصر لا يجرؤ على المجىء فهذا أكثر بهتانا .. قل لهم إننى لن أجىء اليوم فحسب ..

تدخلت كلفورينا قائلة : قل لهم أنه مريض ..

فأحتد قيصر قائلا : هل يبعث قيصر بأكذوبة ؟ هل لاقيت من الأهوال مالقيت حتى أخاف قول الحقيقة لشيوخ شابت لحاهم ؟! ..

ثم تحول إلى ديسيوس قائلا : ديسيوس .. إذهب وقل للشيوخ أن قيصر لايريد أن يأتى ..

.. ولكن ديسيوس الماكر الذى تعهد لحفنة المتآمرين بدفع قيصر للذهاب إلى الكابيتول قال :

– ياقيصر .. لابد من سبب أنقله لهم ..

أجاب قيصر : السبب هو مشيئتى .. لا أريد أن آتى ..قل لهم أن قيصر لا يريد أن يأتى وكفى ..ولكن مرضاة لك ياديسيوس سأقول سبب نيتى فى التخلف .. هذا لأنك صديقى .. ولأننى أحبك ..

ثم أشار قيصر إلى كلفورينا وأضاف قائلاً :

– لقد رأت كلفورينا الليلة حلما أزعجها .. رأت تمثالى كالنافوره

لها مـائة صنبور يتـدفق منها دمى النقى .. وإذ بنفـر من الرومان الأشداء قد أقـبلوا يغسلون أيديهم بذلك الدم وهم يبتـسمون ..وهى تفسر هذا بأنه نذير شؤم .. وقبل مجيئك .. كانت جاثيه على ركبتيها تسألنى التخلف عن موعد الكابيتول ..

هلل ديسـيوس : بحق الآلهة .. لقـد أخطأت زوجتك التـفسـير يا قيصر العظيم .. أن رؤياها رؤية خـير .. ألا تفهم مغزى رؤياها .. أنه واضح كالشمس .. ياللنـساء .. أن قلوبهن الضعيفـة ، وخوفهن على أزوجهن يجـعلهن على هذه الصورة التى عليـها زوجـتك من الحيطة والحذرولكننى أبشرك يا قيصـر العظيم .. فأن رؤيا زوجتك لها دلالة عظيمة ..

رفعت كلفـورينا رأسـها فى دهشـة ونظرت إلى ديسيوس وكـأنها تستقبح كلامه .. أما قيصر فقد سـأله :

– وما تأويلك لتلك الرؤيا يا ديسيوس الصديق ؟..

قال ديسيوس بهدوء :

– أما التمثال – تمثالك – الذى يتـدفق منه الدم والذى يغتسل فيه الرجال البـاسمون فـهو ينبئ بأن روما العظيـمة ستـرضع منك دما محييا وأن عظماء الرجـال سيزدحمون عليه وكلهم يأمل فى أن يكون له دور فى بناء روما ..

هلل قيـصر : ما أبرع تأويلك يا ديسيـوس العزيز .. نعم .. الحق مارأت كلفورينا والحق ما فسرت به رؤياها ..

وانتهز ديسيوس فرصة إنشراح قيصر لقوله .. فأستطرد ..

– إن الشيوخ قد قرروا أن يتوجوك اليوم ملكا ..وقد يغيرون رأيهم إذا أنت أرسلت إليهم معتذرا ..وربما إذا عرفوا سبب تخلفك سخروا منك .. وربما قال أحدهم .. فضوا الأجتماع إلى وقت أخر تحلم فيه زوجة قيصر أحلاما أصلح .. أن حبى لك يا قيصر هو الذى يدفعنى إلى قول ماقلته . فلن يرضينى أبدا أن أسمع الناس يسخرون منك .. أو أسمعهم يصفونك بالجبن " ..

فعلت كلمات ديسيوس فعلها فى نفس قيصر .. فالتفت إلى زوجته قائلا :

– سأذهب .. أن مخا وفك لا أساس لها من الصحة بعد ما سمعناه من صديقنا ديسيوس العزيز .. هاتوا ردائى .. فإنى ذاهب ..

عبثا حاولت كالفورنيا أن تثنى زوجها عن عزمه فى الذهاب إلى الكابيتول .. ولكن قيصر ما كان يتراجع عن قراره .. إنه لابد ذاهب حيث سيتوجه الشيوخ ملكا .. وهل يتخلف أى مخلوق عن موعد ينتظره فيه المجد والسلطان ؟.

لقد آن له أن يحصد ثمار بطولاته ..وأن يكافأ على وطنيته .. وأن ينال الفوز العظيم ..

وبينما هو يعد عدته للذهاب إذا ببعض من أخلص رجاله يدخلون عليه لأصطحابه إلى الكابيتول حيث ستجرى مراسم تتويجه ملكا ..

هتف قيـصر حين أبصرهم : يوليـوس ، بروتس ، سينا ..أهلا بكم أيها الأصـدقاء المخلصون ، يـارجال قيـصر الأوفيـاء . يا أبناء روما الأجلاء .. وأنت يامتلوس .. تقدم لأصافحك مع كاسكا وليجاريوس .. هل جئتم لأصطـحابى ؟.. يالكم من رجال أفذاذ تعـتز بهم روما كل الاعتزاز ..

ثم قال مـخاطبـا بروتس : وأنت أيها الخل الوفى .. يا مـن تعرف روما كلها قدرك .. أشكر لك عناء حضورك لأصطحابى .. كم الساعة الآن ..

أجابه بروتس : أنها الثامنة يا قيصر ..

.. فقال قيـصر بحرارة : فلنشرب شيئا من النبـيذ معا .. ثم ننطلق أشبه بالأصدقاء إلى الكابيتول ..

ولما لمح قيـصر أنطـونيـو آتـيا : أضاف وليـشرب معنـا أنطونيو أيضـا ..

فقال بروتس متمـتما بحيث لا يسمعه أحد : مـا كل شبيه بالشىء يكون الشـىء نفسه يا قيصر ..

قال بروتس هذه الكلمـات الخافتـه تعقيبـا على قول قيـصر " ثم ننطلق أشبه بالأصـدقاء " .. إذ كان يعلم المصيـر الذى ينتظره .. كما كان يعلم علم اليقين بأن قيصر نفسه كان مخلصـا فى صداقته لهم ..

كم كان بروتس حزينا وهو يرى قيصر مبتهجا .. كم كان يؤلمه أن

تكون نهاية صديقه على يديه لكنها حكمة الأقدار ..

★ ★ ★

فى الكابيتول .. كانت الأستعدادات تجرى على قدم وساق لأستقبال قيصر .. انتشر النواب فى كل مكان .. وتجمع عدد كبير من الشيوخ عند قاعدة تمثال بومبى بجانب أحد الأبواب ..

واصطف حاملوا الرايات ونافخوا الأبواق بنظام على جانبى الطريق المؤدة إلى باب الكابيتول الرئيسى ..

والجماهير الغفيرة وقد أحتشدت لرؤية قائدها الذى أوشك أن يصبح ملكا ..

والخدم والأعوان يهرولون من مكان إلى آخر .. يرتبون وينظمون ..

ومن بين كل هؤلاء كان العراف ذلك الشيخ والذى سبق أن حذر قيصر من ذلك الذى أتى سريعا ، يوم الخامس عشر من مارس ..

ومن بين هؤلاء أيضا كان شيخ عجوز ثابت فى مكانه عند أولى درجات سلم المعبد .. يحمل فى يده ورقة خطها بيده يقرؤها بين الحين والآخر فى تمعن ..

كان ذلك الشيخ هو أرتميدوس معلم البلاغة وأحد الموالين لقيصر أما الرسالة التى كان يحملها .. فقد كانت تحوى تحذيرا خطيرا وكان نصها :

" قيصر .. احترس من بروتس .. خذ الحذر من كاسيوس ولا تقترب من كاسكا ..، راقب سينا واحذر متلوس .. أعلم أن ديسيوس لا يحبك ..وكذلك ليجاريوس وبتربونيوس ..

لقد أجمع كل هؤلاء على نية واحدة موجهه ضدك .. فأبصر ما حولك ..واعلم أن الاطمئنان المفرط يفسح المجال للتآمر ..وقتك الآلهة القادرون شر نواياهم ..

محبك : أرتميدوروس

.. كان الشيخ يأمل أن يعطى قيصر هذه الرسالة .. فقد كان من عادة أصحاب الحاجات ، وذوى المظالم والشكايات أن يتقدموا بطلباتهم إلى قيصر مكتوبة فيتلقاها هذا منهم ويقرأ محتواها على الفور ..وقد ينجح الشيخ - هكذا كان يفكر - فى تسليم قيصر رسالته وكأنه أحد هؤلاء ..

لذلك وقف فى مكانه متسمرا وهو يفكر .. إذا أنت قرأت هذا يا قيصر فقد تعيش ..

★ ★ ★

كان القلق هو سمة الجميع فى ذلك اليوم .. يوم الخامس عشر من مايو ..

كلفورينا قلقة على زوجها .. وهو نفسه قلق على نفسه !..

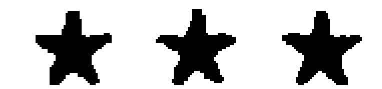
والمتآمرون كذلك .. ينتابهم القلق الشديد وهم لا يعرفون هل

سينـجح مسعاهم .. أم سيفشل ؟..

حتى الشيخ معلم البلاغة يعانى ما يعانى من قلق وهو يتساءل .. هل سيتسلم قيصر تحذيره ..

..وبورشيا .. هى الأخرى .. زوجة بروتس كانت شديدة القلق على زوجها وقد أحست دائما بأمر مهول على وشك أن يحدث .. وسيكون لزوجها يد فيه ..

الجميع قلقون .. الجميع خائفون ..



الفصل الثالث

وصل قيصر بصحبة رجاله الى مبنى الكابيتول ..

كان مزهوا بنفسه وهو يسير فوق البساط الممتد إلى باب الكابيتول الرئيسى ..وقد اصطف الحراس على جانبيه .. ووسط الموسيقى التى تصدح .. والجماهير التى تهتف بحماس كبير..

– يحيا قيصر .. عاش ملك روما ..

.. شق طريقه .. وعند أول درجات السلم .. لمح العراف العجوز .. فصرخ فى وجهه :

– ها قد جاء يوم الخامس عشر من مارس ..

ولكن العراف قاطعه قائلا : جاء اليوم يا سيدى ولكنه لم ينته بعد ..

وقبل أن يرد عليه قيصر .. تقدم أرتميدوروس وهو يمد يده برسالته قائلاً :

– سلام على قيصر .. أقرأ هذه الرقعة ..

ولكن ديسيوس دفع يد الرجل بعيدا وتقدم لقيصر بورقه أخرى

وهو يقول :

– يود أحد رجالك أن تقرأ طلبه الوارد فى رسالته هذه ..

أدرك أرتميدوروس حيلة ديسيوس فناشد قيصر قائلا :

– أى قيصر .. أقرأ رقعتى أولا .. أنها تعنيك شخصيا ..

فرد عليه قيصر قائلا : ما يخصنا يُقضى آخرا ..

ولكن أرتميدوروس ألح على قيصر الحاحا شديدا .. فزجره هذا قائلاً :

– أمجنون أنت !!؟..

ودفع كاسيوس بالرجل بعيدا وهو يقول :

– ويحكم .. أتلحون لقضاء حاجاتكم على قارعة الطريق !؟ هيا إلى الكابيتول ..

واصل قيصر طريقه صاعدا إلى الكابيتول يتبعه رجاله .. ثم سار مخترقا بهو الأعمده إلى قاعة مجلس الشيوخ ..

ولما كانت التقاليد تقضى بأن يتقدم أصحاب الحاجات لعرض مطالبهم على قيصر أولا .. فقد جلس وسط شيوخه .. وقال وهو ينظر حوله :

– هل نحن مستعدون الآن ؟.. فليتقدم كل صاحب حاجة بشكواه ..

وطبقا للخطة التى أعدها المتآمرون مسبقاً ..تقدم متلوس ..

.. سار متلوس حتى أصبح فى مواجهة قيصر .. ثم أنحنى أمامه قائلاً :

– قيصر .. يا صاحب السمو أن متلوس يسألك أن تعفى عن أخيه المنفى بمرسوم منك ..

قاطعه قيصر قائلا بصوت محتد :

– اعتدل يامتلوس .. إن أنحناءك قد يلهب دم الرجال العاديين فلا تكن من البلاهة بحيث تعتقد أن قيصر سوف يستجيب لمعسول كلماتك أنت تعلم جيدا أن قيصر لا يظلم وتعلم أيضا أن اقتناعه بأمر ما يتطلب بينة حاسمة .. لقد نفى أخوك بمرسوم ..

ومادمت تتضرع وتلتمس بدون أن تقدم دليلا يبرئه أو بينة تخلى سبيله فسيبقى أخوك منفيا جزاء ما فعل ..

صاح متلوس وهو يلتفت حوله كمن يبحث عن ضالة .. ألا يتصدى أحد منكم لهذه المهمة الأنسانية ألا يتقدم صوت أكرم من صوتى وأحلى وقعا على أذن قيصر الكريم كى يقنعه بالعفو عن أخى !؟..

.. وطبقا للخطة المرسومة .. تقدم بروتس ووقف بجانب متلوس وقال :

– أنا – بروتس – أقبل يدك يا قيصر لا عن تملق أو نفاق ..وأسألك أن تطلق سراح أخى متلوس ..

وقبل أن يجيب قيصر .. تقدم كاسيوس وهو يجثو على ركبتيه ..

- غفرانك يا قيصر .. غفرانك .. ها هو كاسيوس يخر على قدميه أمامك مستجديا العفو عن أخى متلوس ..

ولكن قيصر لم يستجب لتضرع هذا واستجداء ذاك .. بل قال :

- تعرفوننى جيدا رجلا صامدا .. لا أتراجع عن قرار أبدا .. لذا أخبركم أننى سأظل ثابتا على إبقاء ذلك الخائن مبعدا ..

صاح سينا من موقعه : اعف عنه يا قيصر ..

وتبعه ديسيوس : يا قيصر المعظم .. كن كريما ..

ثم أقتربوا منه .. يتضرعون إليه ويسألونه العفو .. ويزدادون اقترابا..

وقيصر يقول : لا تلحوا .. فلن أستجيب إلا لو أستطاع أحدكم رفع جبال أوليمبوس بيده ..

وأقتربوا منه أكثر ..

وتقدم منه كاسكا .. وبحركة مفاجئة .. استل خنجره وطعن قيصر فى رقبته وهو يقول :

- تكلمى عنى أيتها الأيدى ..

شلت المفاجأة الجميع .. وأمسك قيصر بذراع كاسكا القابضة على خنجره المغروس فى عنقه .. ولكن انهالت طعنات كثيره غيرها فى

شتى أنحاء جسمه ..وكان آخر ما شعر به قيصر طعنة بروتس ..وكان آخر ما قاله :

– حتى أنت يا بروتس !؟.. إذن مت يا قيصر ..

ساد الهرج والمرج مجلس الشيوخ ..وأخذ الحاضرون يتدافعون فى كل مكان بينما كان سينا يصرخ :

– الخلاص .. الحرية .. لقد مات قيصر .. أذهبوا أيها الشيوخ ، أعلنوا ذلك على الملأ ..

بينما كان كاسيوس يصيح بدوره :

– اذهبوا إلى كل الطرقات وأخطروا الناس بنهاية الأستبداد ..

.. أما بروتس فقد كان يناشد أعضاء مجلس الشيوخ المبعثرين فى كل الأرجاء قائلا :

– عودوا أدراجكم ولا تخافوا لقد نال قيصر جزاءه ..

ثم تحول إلى كاسكا قائلا : اخرج للناس .. وأحطهم علما بما حدث .. حاول أن تكبح جماح غضبهم وتعلمهم بدوافعنا لقتل قيصر ..

وكان كاسيوس بدوره يتساءل : أين أنطونيو .. فأنا لا أراه ..

أجابه سينا : لقد شاهدته يفر إلى داره وقد عرته الدهشة وألجم لسانه الحدث ..

نظر بروتس إلى جسد قيصر المسجى على الأرض تغطيه الدماء وقال بتأثر :

– هيا أيها الرومانيون .. تعالوا لنغسل أيدينا بدم قيصر حتى المرافق .. ولنخضب سيوفنا به ثم لنخرج إلى الأسواق ونحن نهتف " السلام .. الحرية .. الخلاص "..

وبينما بروتس يتكلم وهو ينظر إلى جثمان قيصر إذ بشخص يقترب منه .. فلما أصبح في مواجهته جثا على ركبتيه قائلا :

– لقد أمرني سيدى مارك أنطونيو أن أقول لكم أن بروتس لنبيل ونزيه .. كما كان قيصر قديرا جسورا .. فإن تنازل بروتس وسمح لأنطونيو بالمجيء آمنا على نفسه ليقنعه كيف استحق قيصر القتل فإن أنطونيو لن يحب قيصر ميتا بقدر ما يحب بروتس حيا ! وإنما سيتبع أثر بروتس بكل نية مخلصة " هكذا يقول سيدى أنطونيو " ..

قال بروتس : إن سيدك روماني حصيف .. أذهب وأخبره بذلك على لساني " إن كنت تحب أن تحضر فلتحضر فسوف تجد ما يقنعك .. وقسما بشرفي ألا ينالك أى أذى "..

هب الخادم واقفا وقال وهو يعدو :

– سأعود بسيدى أنطونيو على الفور ..

.. تقدم كاسيوس من بروتس قائلا : إنني أتوجس خيفة من

أنطونيو هذا ..

فقال بروتس : لا تخف فأنطونيو رومانى شجاع .. ها هو قد حضر.

دخل أنطونيو ..واتجه صوب الجثمان المسجى المغطى بالدماء .. ثم ركع فوقه قائلا :

– واها يا قيصر العظيم .. أين أنت الأن من فتوحاتك وأمجادك وانتصاراتك ؟.

ثم أستوى واقفا وواجه المتآمرين قائلا بثبات :

– لا أدرى أيها السادة حقيقة نواياكم ..ولكننى أقدم لكم نفسى طائعا فإنى لو عشت ألف عام لما وجدت نفسى أكثر استعدادا للموت من هذه اللحظة التى أهلك فيها بجانب قيصر ..وعلى أيديكم أنتم خيرة رجال روما ..

فقال بروتس : رويدك يا أنطونيو .. لا تلتمس نهايتك عندنا !.. قد نبدو قساة أمامك الآن ولكن أنت لا تعلم مكنون قلوبنا .. إن الظلم الذى عانت منه روما طويلا هو الذى أودى بحياة صاحبك وصاحبنا .. أما أنت فلك فى نفوسنا كل الأحترام والتقدير..

تدخل كاسيوس فى الحديث قائلا بدهائه المألوف :

– أنضم إلينا يا أنطونيو وسيكون لك دور بارز فى روما الجديدة ..

وقال بروتس : انتظر حتى نهدىء ثائرة الجمهور الذى ذهب الذعر بعقله وحينئذ نطلعك على السبب الذى من أجله قمت أنا .. الذى كنت أحب قيصر حتى وأنا أضربه .. بهذه الفعلة ..

نقل أنطونيو نظراته بين جثمان قيصر المسجى على الأرض .. وقتلته الذين تجمعوا جميعا فى شكل دائرة يتوسطها قيصر المقتول .. لم يستطع أفرسهم أن يعرف ما يدور بخلد أنطونيو .. فقد كان جامد الوجه ، متصلب الملامح عينه فقط هما التى تتحرك .. ثم لسانه الذى به قال :

- أيها السادة : إن سمعتى الأن تبحث عن مستقر لها .. قد يقول بعضكم عنى إنى جبان ، وقد يقول آخرون إننى منافق ..ولكن .. هاتوا أيديكم .. فليبسط كل منكم يده الداميه ..

ومد الرجال أيديهم الملطخة بالدماء ..وصافح أنطونيو بروتس أول ما صافح .. ثم تلا الآخرين ..

وبعد ذلك أخذ أنطونيو يرثى القتيل ..ويعد فى أفضاله ..ويتحدث أمامهم عن الغدر الذى أردى بحياته وخيانة أصحابه له .. والرجال يتبادلون النظرات وهم لا يفهمون .. إذا كان أنطونيو ضدهم .. فلماذا صافحهم ؟.. وإن كان معهم .. فلماذا يرثى قيصر بمثل تلك الكلمات!!..

تقدم كاسيوس مخاطبا إياه :

- أنا لا ألومك إذا أنت أثنيت على قيصرك ، لكن هل نعتمد عليك فى الفترة القادمة أم لا ؟..

فقال أنطونيو : أنا معكم وإلا ما صافحتكم ، ولكننى مازلت أتساءل لماذا قتلتم قيصر ؟..

انبرى بروتس بالإجابة قائلا :

- إن لدينا من الأدلة ما يقنعك بهذا الأمر .. حتى لو كنت ابن قيصر.

هز أنطونيو رأسه وكأنه يوافق بروتس على قوله .. ثم عاد ينظر إلى جثة قيصر بشرود كبير ..

.. كان الثوار -إن صحت تسمية هؤلاء القتلة - يتشاورون فيما ينبغى أن تكون الخطوة القادمة .. لقد قتلوا قيصر .. فماذا بعد !! ..

هل يخرجون إلى الحشود خارج الكابيتول !؟..

أم يرسلون فى استدعاء الشيوخ لمناقشة قراراتهم القادمة ؟.. وهل سيحضر الشيوخ !؟..

إن تأييد الجماهير لفعلتهم هو الأساس اللازم لكل ما سيأتى بعد .. لذلك قال بروتس :

- سألقى بيانا على الناس أشرح لهم فيه سبب إقدامنا على قتل قيصر ..

وقبل أن يكمل بروتس كلامه إذ بأنطونيو يفيق من شروده قائلاً :

– فلتسمحوا لى أيها السادة أن أحمل جثمان قيصر لأخرج به على الجماهير .. كما أستأذنكم أيضا فى أن أرثيه بكلمات أمامهم – وهذا وما يفعله الصديق مع صديقه الميت ..

فقال بروتس بسرعة : لك ذلك يا أنطونيو ..

ولكن كاسيوس قبض على ذراع بروتس ، وأنتحى به جانبا قائلاً :

– ماذا دهاك يا بروتس ؟ أنت لا تعرف ماذا سيقول ؟ وقد يثير الشعب ضدنا ..

تخلص بروتس من قبضة كاسيوس .. وعاد إلى مكانه وقال مخاطبا أصحابه وأنطونيو بينهم ..

– سأرتقى أنا المنبر أولا ، فأشرح للناس أسباب موت قيصرنا .. أما أنت يا أنطونيو فخذ جثة قيصر ، ألق خطابك على الناس ولكن عليك أن تخبر الناس أولا أنك تتكلم بإذن منا ، ولك مطلق الحرية فى أن تقول ما تفكر فيه من إطراء قيصر .. أما أن تلقى باللائمة علينا أو تظهر معارضتك لفعلتنا .. فهذا ما لايجوز أبدا ..

فقال أنطونيو : هذا كل ما أريده .. شكرا لك يا سيد بروتس ..

ثم خرج بروتس وأصحابه لمواجهة الشعب الغاضب .. وكان كاسيوس يستشعر الخطر فى سماح بروتس لأنطونيو بحمل الجثه وعرضها على الناس .. فهو يعرف أنطونيو جيدا – فهو من أشد

المؤيدين لقيصر الذى كان يدلله كطفل له .. فهل سيرضى الابن بسهولة - بما حدث لأبيه ؟..

بقى أنطونيو مع جثمان قيصر وحده داخل قاعة الكابيتول ..

الآن وقد خلا له المكان يمكنه أن يبكى كما يشاء ، ويمكنه أن يقول ما شاء !!..

أنحنى على الجثمان ..

وأخذ يتأمل قسمات وجهه ..

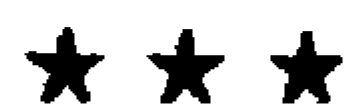
ثم مواضع الضربات التى أودت بحياته .. حياة ذلك الذى ملأ اسمه العالم ..وقد تحول إلى أطلال إنسان !

.. اللعنه على قاتليك يا قيصرك .. ياويل الأيدى التى اسفكت دمك الغالى ..

.. أن جراحك تخبرنى بأهوال قادمة .. حرب أهلية عارمة فى أرجاء إيطاليا كلها ..

حرب ضروس شديدة الضراوة لامكان فيها للرحمة .. ولن تهدأ هذه الحرب إلا بعد أن يذوق الخونه ما أذا قوك إياه ..

هكذا كان أنطونيو يفكر وهو يتأهب للخروج على الناس بجثمان صاحبه ..



حين خرج بروتس مع رفقائه وجد الناس فى غاية الأستثارة .. الأنباء تأتيهم متقطعة ..والتفاصيل غير دقيقة ..وكان أخطر من قتل قيصر هو مواجهة تلك الحشود التى تريد أن تعرف وتعى .. ثم تقرر !!..

ما أن رأى الناس بروتس حتى صاحوا به :

– ماذا حدث !؟ .. أخبرونا !١ أقنعونا بصواب ما فعلتموه ..

.. كانت لحظة حاسمة تلك التى تقدم فيها بروتس بكلمته إلى الشعب لحظة مصيرية يتحدد على أثرها مصير شعب وأمة ..

جال بروتس ببصره مستطلعاً الوجوه الناظرة إليه .. وجوه بعضها متحفز ،وبعضها يتساءل ، وبعضها لا يهتم لذلك كان عليه أن يتوخى الدقة فى اختيار كلماته .. ولأنه شريف ..والشعب يعرف عنه ذلك .. كان عليه أيضاً أن يكون صريحاً فى بيانه ، صادقاً فى حديثه ..

.. بعد موجة قصيرة من الصيحات والهتافات ساد صمت تام ..

وتقدم بروتس .. وخطب فيهم قائلا :

أيها الرومانيون ،والمواطنون ، والأحباء .. استمعوا لى .. صدقونى كرامة لشرفى ، واحترامـوا شرفى كى يمكنكم أن تصدقونى ثم أحكموا على بحكمتكم بعد أن تسمعونى ..

لقد أحببت قيصر بقدر ما أحبه أكثر الناس حبا له فيكم .. لكن إذا

سألنـى أحدكم ولماذا قـتلت قيصـر ؟ فسـيكون جوابى : لم أقـتله لأننى لا أحبه ، بل قتلته لأننى أحب روما أكثر ..

أيها الرومـانيون الشـرفاء .. هل كنتم تفضلـون أن يعيش قيـصر وتموتوا كلكم عبيدا ؟ أم تفضلون أم يموت قيصر لتعيشو أحرارا !!؟.

لقد كان قيصر يحبنى فأحببته .

وقد كان سعيدا .. فسعدت لسعادته ..

لكنه كان طماعا .. فذ بحته !!.

ثم عـلا صوت بروتـس ليصل إلى الآذان الـصاغـيـة .. رهيـا .. حماسيا..

من منكم بلغ به الهوان درجة جعلته ينعم بحياة العبودية ؟..

من منكم بلغ به الهوان درجة جعلته يأبى أن يكون رومانيا ؟..

من منكم .. لا يحب وطنه ؟..

من منكم لا يحب روما ؟؟..

إن كان منكم هذا أو ذاك .. فسأكون أنا المخطئ ..

ساد الصمت لفتره .. ثم ..

– لا أحد يا بروتس .. لا أحد ..

– يعيش بروتس .. يعيش .. يعيش ..

وانطلقت الحناجر بصيحات التأييد .. وعلت الهتافات بحياة بروتس ..

– هو بطلنا الآن ..

– أجعلوا له تمثالا مع أسلافه العظام ..

– فليكن هو قيصرنا الجديد ..

.. ثم دخل أنطونيو .. ومن خلفه كان رجلان يحملان جثمان قيصر وسكتت الصيحات مرة واحدة ..

.. تقدم أنطونيو .. بادى الحزن .. عابس الوجه .. فلما رآه بروتس تنحى له عن مكانه بعد أن خاطب الناس قائلا :

– ها قد جاءت جثة قيصر مع أنطونيو ..وعلىّ أن انصرف الآن .. فلتنصتوا إلى أنطونيو جيدا واعلموا أنه يتكلم بتصريح منا .. واعلموا أيضاً أنه بالرغم من عدم اشتراكه معنا فى قتل قيصر .. فأنه سيكون له منصب رفيع فى الامبراطورية ..

ثم انصرف بروتس .. وتقدم أنطونيو وجثة قيصر يرفعها الأتباع ليشاهدها الجميع أثناء خطابه ..

قال أنطونيو بصوت هادىء :

" أيها الأصدقاء .. أيها الرومانيون ..

لقد حضرت هنا لأدفن قيصر ..وليس لكى أشيد بذكره ..

لقد أخبركم بروتس الشريف أن قيصر كان طماعا .. فلو كان كذلك فعلا .. فهاهو قد نال جزاءه ، كان قيصر صديقى كما تعرفون ..وكان كريما معى .. لكن بروتس يقول إنه كان طماعا ..

وبروتس رجل شريف .. كما تعلمون ..

لقد ملأ قيصر خزائن الدولة بالفدية التى تلقاها مقابل الأفراج عن الأسرى الذين جاء بهم من حروبه المظفرة ولم يأخذها لنفسه .. أيكون قيصر طماعا !؟..

لقد رأيته بنفسى ينتحب حين يرى فقيرا يبكى ..

أيكون طماعا إذن !؟..

وعلى ذلك فبروتس الشريف يصفه بالطمع ..

كلكم شاهدتم قيصر فى عيد اللوبركال ..

ورأيتم بأنفسكم كيف رفض التاج ثلاث مرات .. فهل يكون ذلك طمعا !؟..

ومع ذلك يقول بروتس أن قيصر كان طماعا .. وعلينا أن نصدق بروتس .. لأنه رجل شريف ..

..لا تظنوا أن كلامى هو محاولة لنقض كلام بروتس ..

بل أننى جئت لأقول لكم .. كلكم أحببتم قيصر يوما .. فمن حقه عليكم إذن أن تندبوه ..

دار أنطونيو ببصـره مستطلعاً الوجوه .. محـاولاً أن يعرف تأثير كلماته على نفوس سامعيه ..

كانت خطبـة رائعة ألقـاها بحنكة السيـاسى .. ومهـارة القائد ، لم يخل بتعهده لبروتس بأن لا يتفوه بـكلمة لائمة فى حق قتلة قيصر .. ولكنه اسـتعـمل ببراعـه حقـه الذى منحـه إياه بروتس حين أطلق له الحرية فى مدح قيصر بما يشاء ..

وسـرعان مـا أتضـح تأثـيـر كلمـاته .. إذ أرتفع صـوت من بين الحشد ..

– لقد راح قيصر ضحية ..

وتلاه صوت آخر : قيصر لا يستحق هذا المصير ..

.. وصوت ثالث : إن أنطونيو هو أنبل رجال روما ..

.. وعاود أنطونيو الكلام مستغلا ذلك التأييد المبدئى ..

رفع يده بصحـيفة عليهـا خاتم قيصـر ..وعرضـها على الجـمهور ليراها بوضوح ..

– أصدقائى ..

حتى آخر وقت كانت كلمة قيصر كفيلة بصد العالم ..

وهاهو الآن أمامكم لا يعى .. ولا يتكلم .. ولا يتنفس ..

ها هو أمامكم وقد سلبت الحياة منه ..

ولكنه ترك هذه الصحيفة !! وعليها خاتمه ..

أتعلمون ما هذه !؟.. أنها وصيته التى عـثرت عليها زوجته الفاضلة كالفورينا فى مخدعه اه لو عرفتم مضمون وصيته ؟..

حتما ستهرعون لتقبيل جراحه ..

وستسارعون للمس شعرة من رأسه ..

ولكنى لن أقرأ وصيته عليكم .. لماذا ؟..

لأننى على يقين من أنكم لو سمعتوها لأشتعلت قلوبكم نارا ..

وذهب صوابكم ..

وقاطعه صوت : أقرأ الوصية يا أنطونيو ..

وصوت آخر : أقرأها ..

ثم الجميع : الوصية .. نريد أن نسمع وصية قيصر ..

فقال أنطونيو : ليتنى ما حدثتكم عنها ..

لقد كانت هفوة منى حين أشرت إليها ..

فـإننى أخـشى أن أسىء بصـورة مـا إلـى الشـرفـاء الذين طعت خناجرهم قيصر ..

وأزداد فضـول النـاس .. وهو مـا يرمى إليه أنطونيو .. فـصاحوا به ..

- من واجبك أن تقرأها علينا ..

- لابد أن نعرف وصيـة قيصر ..

ولكن أنطونيو الداهية كان يريد أكثـر من الحماس .. فتجاهل طلب الناس إلى حين .. ورفع رداء قيصر الملوث بالدم أمامهم قائلا :

- هذا رداء قيـصر الذى أرتداه أول مرة فى صيف يوم انتـصاره على البلچيك .. أنظروا .. هذا الثقب فيه من أثر طعنة كاسيوس ..

وهذا الشق أحدثه خنـجر كاسكا ..

.. وهنا .. موضع طعنة بروتس .. الشريف ..

بروتس الذى أحبه قيصر ..حتى كان يسميه " ملاكى " ..

تأثر الناس تأثيـرا شديدا وهم يرون أنطونيـو يعرض رداء الموت أمامهم .. بل أن بعضـهم أخذ فى البكاء بصوت مرتفع ..

وأثار أنطونيو الناس أكثر :

- أتبكون !؟ .. أتبكون لمجرد رؤية رداء قيصر ؟..

ثم رفع الغطاء الذى كان يستر الجثمان .. وقال ..

.. أنظروا إذن إلى صاحب الرداء ..

أنظروا إليه .. وقد مزق الخونة جسمه ..

أنظروا ..وأبكوا ما شاء لكم البكاء ..

وأنفجرت الأصوات فى هذه المرة ..

- ويل للخونة الأنذال ..

- ياللمشهد الأليم ..

- واحسرتاه على قيصر النبيل ..

.. وهتف الجميع : الثار .. الثأر ..

ولكن أنطونيو ومازال فى جعبتـه الكثير رفع يديه طالبا الصمت .. ومرة أخرى قال :

- لا أرى حاجة لهياجكم .. ولا داعيا لثورتكم ..

أن قتله قيصر نفر من الشرفاء .. لابد أنه كان لديهم سبب لفعلتهم فلنستمع إليهم أولا ..

لاشك أنهم هنا .. (يلتفت حوله) ..

أنا لا أراهم !؟..

لابد أنهم ذهبوا فى أمور عاجلة ..

..وكان كـاسيوس وأصـدقاؤه قد تسـربوا مبتـعدين حين سمـعوا أنطونيو يقود الناس بكلامه إلى الثورة ..

.. ومازال أنطونيو يتكلم :

" أه .. لقد انسيتمونى الوصيـة . هل مازلتم مصرين على معرفة محتواها ؟!..

الجميع : نعم .. نعم .. أقرأها علينا يا أنطونيو ..

فتح أنطونيو الصحيفة بعد نزع خاتم قيصر عليها - أمامهم - وقرأ ما فيها ثم تحول إلى الجماهير قائلاً :

- إنه يهب كل مواطن رومانى خمسة وسبعين درهما ..

ورفع صوته .. خمسة وسبعين درهما لكل رجل منكم ..

.. ووهب للدولة .. لكم .. كل حدائقه وبساتينه لتكون متنزها عاما لكم ولذريتكم ..

صاح صوت : ما أنبل قيصر ..

صوت آخر : ما أكرمه ..

فى حين أستطرد أنطونيو : هذا هو قيصر .. فاسألوا أنفسكم متى يأتيكم رجل مثله ؟..

فقال أحدهم : لن يأتى مثله أبدا ..

وتتابعت الصرخات : الموت للخونة ..

- أبحثوا عنهم وأقتلوهم ..

- لنحرق منازلهم ..

- انتشروا فى كل روما .. بحثا عنهم ..

.. وهكذا .. بدأت الثورة .. أو الحرب الأهلية كما تنبأ أنطونيو وخطط ..

وها هو - أنطونيو - بعد أن أشعل الموقف تماما ، يغادر مكانه وهو يتمتم ..

- أيتها الفتنة .. اعملى عملك .. واسلكى أى سبيل تشائين ..

★ ★ ★

انتشرت الجماعات الثائرة فى كل شوارع ، وميادين .. وأزقة روما بحثا عن المتآمرين ..

حاملين الهراوات .. والسيوف ..والمناجل وكل ما يصلح للقتل ..

وأنشأوا فيما بينهم نقاطا للتفتيش ..

مجرد تشابه أسم أى مواطن مع اسم أحد المتآمرين كان كفيلا بقتل المسكين .. وإليك مثالا فى أحد شوارع روما .. كان يسير سينا الشاعر .. فاعترض طريقه أربعة من هؤلاء الثوار إن صحت تسميتهم بذلك ..

سأله أحدهم : ما أسمك ؟..

وسأله الثانى : وما هى وجهتك ؟.

والثالث : أين مسكنك ؟..

الرابع : أمتزوج أنت أم أعزب ؟..

.. أجاب الشاعر المسكين : أسمى سينا .. وأنا ذاهب لحضور جنازة قيصر ..

فقال أحد أفراد الجماعة : تقول إن اسمك سينا !؟..

ثم استدار إلى رفاقه : سينا .. أحد الخونة !..

صاح الشاعر المسكين : لا .. لست سينا رجل قيصر .. بل أنا هلفيوس سينا الشاعر .. أنا شخص غيره ..

فلكزه رجل منهم فى جانبه لكزة قوية ثم قال :

– هذا لا يهم .. فإن اسمك هو سينا ،وهذا يكفينا .. أقتلوه شر قتله مزقوا جسمه كما مزقوا جسم قيصر ..

وأنهالت الطعنات على جسم الشاعر المسكين حتى فاضت روحه ..

★ ★ ★

شهدت روما أحداثا مؤسفة ، فهى الفتنة كما أرادها أنطونيو ، وياويل بلد يتجول فيها الرعاع يحطمون متاجرها ويسلبون منازلها ، ويفتكون بسكانها الآمنين بأسم (الثأر) ، تلك الكلمة التى كثيرا ما تصبح – أيام الثورات بالذات مرادفا للقتل والتنكيل ..

وتفرق المتآمروقتلة قيصر هربا من انتقام الأهالى .. لم يكن هروبا يليه الخوف وحده .. بل كان هروبا يعيد فيه هؤلاء تنظيم أنفسهم وترتيب أمورهم ..

وأثناء ذلك تشكل فى روما ما يعرف " بالمجلس الثلاثي " ، الذى تولى إدارة شئون البلاد بعد موت قيصر ..وكان قوام هذا المجلس

أكتافيوس القائد الرومانى الشهير ، ابن أخت قيصر وربيبه ..

ومارك أنطونيو ذلك الفذ الذى استطاع ببراعة مذهلة أن يعيد الأمور إلى نصابها ويؤلب الشعب كله - أو معظمه - ضد بروتس والمتآمرين معه ..

وثالث هو إيميلوس ليبدوس وهو ضابط محنك شريف ..

تولى هؤلاء الثلاثة إذن حكم روما فى تلك الفترة الحرجة .. وكان أول واجباتهم هو مواجهة المتآمرين الذين أعدوا جيوشا قوامها مؤيدوهم من بعض رجال الجيش والشعب ومجلس الشيوخ ..



الفصل الرابع

كان قيصر قد كلف أوكتافيوس وليبدوس بمهمة خارج روما ، وتصادف أن كان يوم عودتهما من هذه المهمة هو نفس اليوم الذى طعن فيه قيصر ، فلما دخلا روما وأستقبلهم الأتباع بالنبأ العظيم أدركا أنه قد فات الأوان لمنع ما حدث بالفعل ، وبحسه السياسى وحنكته الفطرية .. آثر أوكتافيوس أن يذهب أولا إلى دار قيصر ريثما تأتيه التفاصيل ، وفى انتظار أن تنجلى غوامض الحدث وأسراره ..

وكان أول ما فعله أنطونيو بعد خطبته الشهيرة فى الكابيتول ، أن ذهب إلى لقاء أوكتافيوس وصاحبه ليبدوس ..وهناك شرح لهما تفاصيل المؤامرة ونقل لهما ما قاله بروتس للشعب وما قاله هو ، وبعد أستفسارات وإجابات سأل أوكتافيوس أنطونيو :

— .. وبعد .. ماذا نحن فاعلون ؟..

أجابه أنطونيو بأنه عليهم أولا الاهتمام بروما التى تركها قيصر أمانة بين أيديهم ، أما القتلة فسيلقون جزاء ماجنت أيديهم ..

وهكذا تشكل مجلس الثلاثة السابق ذكره ..وقد حصل هذا المجلس

على موافقة مجلس الشيوخ فأصبح هو الحاكم المؤقت للبلاد .. فى انتظار أن تستقر الأمور وتهدأ ..

.. وماذا عن بروتس وكاسيوس وبقية الزمرة !!!؟..

كـانت الخطورة كلهـا فى أن يبقى هؤلاء فى رومـا بعـد أن نـَجح أنطونيو فى تأليب الشـعب ضدهم ..وكان من الصواب مـا فعلوا حين أستقروا على أنصارهم فى سـهول فيليبى القريبة من روما ..

وفى غرفة بدار أنطونيو ..

جلس أعضـاء المجلس الثلاثه .. أوكتـافيوس ولاپيـدوس وأنطونيو يتشاورون حول منضدة خشبية صغيرة ..

كانت أمامهم قائمة تضم أسماء المتآمرين وأعوانهم ..

قال أوكتافيوس : كل من ورد اسمه فى هذه القائمة سيموت ..

ثم التفت إلى لابيدوس وأضاف :

– حتى أخوك يالابيدوس .. فقد كان من ضمن الخونة ..

هز لابيـدوس رأسه موافـقا ولكـنه قال : سـيموت أخى ..وكـذلك بوبيليوس ابن أختك يا أنطونيو ..

أجاب أنطونيو : لن يستثنى أحد من هذه القائمة .. فنحن لسنا قتلة بل أصحاب قصاص ..

★ ★ ★

وفى غـرفة بـدار بروتس كانـت بـورشيـا - زوجـته - تحـادث خادمها :

- ألم تعثر على سيدك بعد ..؟..

أجاب الخادم : لا يا سيدتى .. فهو ليس فى روما كلها! ..

بورشيا : زوجى الحبيب ، ماذا فعلت بنفسك !؟ أين أنت الآن ..؟.

قال الخادم : يقول الناس أن سيدى بروتس قد هرب مع كاسيوس خارج روما .. وأن أنطونيو وأوكتافيوس جادان فى أثرهما ..

فقالت بورشيا باكية : قضى الأمر إذن ..أظنهما قتلاه .. ياويلاه .. أى وجه كريم واراه التراب ، وأى زوج شريف فقدت !؟..

فقال الخادم : ولكن لم نتأكد أنبـاء موته بعد .. فأهدئى يا سيدتى وسأذهب لأستطلاع مصيره ..

ولكن بورشـيا كانـت تبكى بحرقـة .. فخرج الخـادم فى هدوء .. وأغلق الباب خلفه ..

★ ★ ★

كان لبروتـس وكاسيوس عدد كـبير من الأنصار .. أسـتطاعا بهم تكوين فـريقين من الجنود الأقوياء ..وتولى كل منهـما رئاسـة فريق ..واحتـل كل منهمـا موضـعا مـتباعـداً .. استـعدادا لـمواجهة جـيش أوكتـافيـوس وأنطونيو وقد جـاءت الأخبـار بأن القائدين قـد تأهبا

للخروج من روما ..

كان بروتس في خيمته حين جاءه تابعه يقول : لقد حضر السيد كاسيوس .. وهو يرغب فى مقابلتك ..

بروتس : فليدخل ..

دقت الطبول معلنة دخول كاسيوس بصحبة مجموعة من ضباطه .. فلما لاقاه بروتس ، رحب به بفتور أدهش صاحبه ..

فقال كاسيوس : بروتس .. ما الأمر .. إن طريقة مقابلتك لى تقترب من الأساءة ..

أجابه بروتس بحزن : الواقع أنه أنت الذى أساء إلى نفسه ..

صاح كاسيوس : بروتس .. ماذا تقول !؟..

أستطرد بروتس يقول بصراحته المعهودة ..

– لماذا تطلق لرجالك العنان !؟.. ألم تسمع عن طلبهم الرشوة والأتاوات من أهالى البلاد التى يمرون عليها ؟..

تردد كاسيوس : ثم قال : هذه هفوات لا يجب الألتفات إليها فى هذه الظروف الحرجة ..

فصاح بروتس : وأنت نفسك – يقولون عنك إنك تبيع المناصب بالذهب ..

هب كاسيوس غاضبا وهو يقول :

- بروتس .. ماذا تقول !! أتتهمنى بالرشوة !!؟ أذكر يا رجل مارس أذكر الخامس عشر منه .. ألم أطعن قيصر فى هذا اليوم فى سبيل العدل؟ هل تعتقد أن اليد التى طعنت أقوى الرجال تمتد لتلقى رشوة أو ترضية !؟ إنى لأفضل أن أكون كلبا على أن أكون رومانيا من الطراز الذى تصفه ..

فقال بروتس : كفاك نباحاً يا كاسيوس ، وتذكر مع من تتكلم .. أنت تكلم من هو أكثر منك قدرة وخبره .. أذهب واردع رجالك ..

قال كاسيوس بحزن : أنت لا تحبنى يا بروتس ..

أجابه بروتس بسرعة : أنا لا أحب هفواتك ..

رفع كاسيوس يده وصاح وكأنه ينادى أوكتافيوس وأنطونيو :

- تعال يا أنطونيو ، تعال يا أوكتافيوس .. أثأرا لنفسيكما من كاسيوس وحده فقد ابغض كاسيوس الدنيا ، لأن بروتس يبغضه ... تعالا لتشاهدا بروتس وهو يعامل كاسيوس معاملة العبيد ..

ثم تحول إلى بروتس وأضاف وهو يكشف عن صدره ..

- إليك خنجرى يا بروتس ..وهاك صدرى عارياً .. أضرب ..أغمد خنجرك كما ضربت قيصر ..

لكن بروتس قال : لقد كنت غاضباً .. ولكنك الآن تمزح .. استر صدرك .. ولا تجعل من نفسك أضحوكة ..

– كانا يتشاجران ويتنازعان ولكنه كـان كتشاجر الأصدقاء ونزاع الأخوة ..

فكاسـيـوس مـازال يحتـرم بروتس ويـجله .. وبروتس يرى فى كاسيوس رومانيا مخلصاً ..

ومادام الأمر كـذلك .. فمازالا صديقين إذن .. وإن تـشـاجرا .. وإن تلاحما ..

وشيـئا فشيـئا .. تصافح الصـديقان فقـد كان نزاعهمـا ناتجا عن حساسـية الموقف الذى يواجهانه .. والمعركـة المرتقبة بين أبناء الوطن الواحد ، والمواجهة المحتومة بين من كانوا يوما أصدقاء ، كل ذلك كان كفيلاً بإرهاق الأعصاب وتصعيب الأمور ..

..صاح بروتس بتابعه : لوسيوس .. جرة من الخمر ..

وجاءت الخمر ..وشربا الصديقان نخب صداقتهما ،ونخب قيصر!! ونخب روما من بعد قيصر ..

وفجأة قال بروتس بحزن : كاسيوس .. لقد ماتت بورشيا ..

فسـقط كأس كـاسيوس من يده .. مـاتت !! ياللخسـارة ..كيف !! ومتى !!؟..

أجاب بروتـس بحزن : لقـد نقل " مسـالا " ، هذا الخبر إلـىّ لقد ماتت المسكينة جزعا لغيابى .. ففى غفلة من خدمها قتلت نفسـها ..

قال كـاسيـوس متـألما : ويلاه .. هذا هو أذن سبب تدهور حـالتك وأعتلال مزاجك ..

رفع بروتس يده قـائلا : صـه .. دعنا لا نتكلم عنـهـا .. لنشـرب كؤوسا أخرى من الخمر ..

.. ودخل أحد الأتباع معلنا وصـول مسالا .. وهو رومانى شريف من أنصـار بروتس .. ولكن بحـكم مكانتـه وحب الناس له كـان فى أستطاعته التجول فى روما كـما يشاء ..وبذلك كان ينقل الأخبار أولا بأول إلى بروتس وصحبته .. فلما دخل حياه بروتس قائلاً :

– مرحبا بك يا مسالا الطيب .. تعال واشرب معنا ..

جلس مسالا مع صديقيه ثم قال :

– لقـد تم إعـدام مـائـة من الشـيـوخ بناء على أوامـــر أنطونيـو وأوكتافيوس ..

فقال بروتس : مائة !

هز مسالا رأسه : نعم .. وبينهم شيشرون الخطيب ..

صاح كاسيوس : ياللخسارة ..

قال بروتس : لقد تمادى أنطونيو وأوكتافيوس كثيرا ..

ثم تحول إلى كاسيوس قائلاً : هيا بنا لنقاتلهما .. ولنضع حداً لكل هذا ..

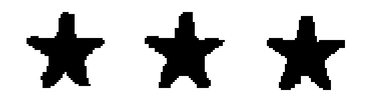
ولكن كاسيوس هز رأسه معترضا : لا أوافقك ..

بروتس : ولماذا ؟..

قال كاسيوس : الأفضل أن يتطلبنا العدو .. وبذلك تبدد عدته وينهك جنوده ..

أجاب بروتس : ولكنى أخاف أن ينقلب سكان هذه الأنحاء علينا ، من الأفضل أن نتقدم نحن بجيوشنا إلى سهول فيليبى الفسيحة .. فكل خوفى أن تزداد جيوش أنطونيو وأوكتاڤيوس قوة بانضمام الأهالى إليهما ..

وبعد مناقشات طويلة تداولها بروتس وكاسيوس ومسالا معهم .. استقر رأيهم جميعا على أن تتقدم جيوشهما إلى السهول لملاقاة الأعداء على أن يكون صباح الغد هو موعد ذلك الزحف الكبير .. أما النصر .. وأما الموت والأمران متساويان عندهما .. فإنما هم ينتصرون لروما .. ويموتون لأجلها ..



الفصل الخامس

على التلال المشرفة على سهول فيليبى الشاسعه وقف أنطونيو وأوكتافيوس يتحدثان ..

قال أوكتافيوس :

– لقد هبطت جيوش المتمردين إلى السهول يا أنطونيو .. وتصوفهم هذا إنما هو دعوة للقتال ..

فقال أنطونيو وهو يتابع بنظره أشارات أوكتافيوس :

– نعم .. وأغلب الظن أنهم يريدون بث الذعر فى نفوسنا .. ويعتقدون أنهم بذلك يستعرضون قوتهم أمامنا ..

قال أوكتافيوس : لم أكن أعتقد أن تبلغ قوتهم هذا الحد .. أن جيوشهم تملأ السهول ..

فقال أنطونيو : ويجوز أن يكون هناك غيرهم خلف الصخور والتلال حسنا .. سنقسم قواتنا قسمين ..وسأتولى أنا الميمنة .. وأنت الميسرة.

فقال أوكتافيوس : لا .. أنا على الميمنة .. وأنت على الميسره ..

حدَّج فيه أنطونيو بنظرة لائمة وهو يقول : لماذا تعارضنى والموقف كما تراه ..

فقـال أوكتـافيـوس : وهو يلوى عنان جواده راجـعا إلى صـفوف جيشه ..

– أنا لا أعارضك .. ولكنى سأقود الميمنة ..

★ ★ ★

وفى السـهـول .. كانت جـيـوش بروتس وكـاسيـوس على أهبـة الأستعداد ..

وكـان بروتس يمد بصـره إلى أعلى التـلال حـيث كـان أنطونيـو وأوكتافيوس واقفين .. ثم قال مخاطبا كاسيوس :

– لقـد جرت العـادة فى الحروب أن يـكون الكلام قبل الصـدام .. فلنتقدم إليهما وحدنا يا كاسيوس ..

فقال كاسيوس وهو يتقدم بجواده : هيا بنا ولنسمع قولهما ..

وتلاقى أنطونيو وأوكتافيوس وبروتس وكاسيوس وجها لوجه ..

كانوا على ظهور أجيادهم متقابلين ..

والجيوش من خلفهم تنتظر النتيجة ..

إما سلام .. أو صدام ..

قال كاسيوس مخاطبا أنطونيو : كان من رأيى أن تقتل مع قيصرك

.. ولكن بروتس منعنى ..

فأجاب أنطونيو بهدوء : حسنا .. مادمت تذكر خيانتك لقيصر ..

فقال كاسيوس : كل ما يحدث الآن من أثر كلماتك (يشير إلى خطاب أنطونيو فى الكابيتول) .. إن لك كلاما يسرق عسل النحل ..

فقال أنطونيو : بل يسرق النحل نفسه ..

تدخل بروتس قائلا : بل ويسرق طنينه أيضا .. مالك يا أنطونيو قد أصبحت بارعاً فى التهديد حتى قبل أن تلسع ؟..

فقال أنطونيو محتدا : أيها الأنذال .. ألا تذكرون فعلتكم يوم الخامس عشر من آذار .. لقد جثوتم كالعبيد عند قدمى قيصر .. ثم قام كاسكا الملعون - كالكلب من الخلف وطعن قيصر فى عنقه .. ويل لكم أيها المنافقون ..

قال كاسيوس مخاطباً بروتس :

- منافقون !!.. الآن يا بروتس اشكر نفسك فما كان لسانه يتطاول هكذا لو كان الحكم لكاسيوس ..

وكان كاسيوس يشير إلى اقتراحه بضرورة قتل أنطونيو والذى رفضه بروتس ..

.. تدخل أوكتافيوس قائلاً :

- كلامكم هذا جدال لا فائدة منه .. انظروا ..

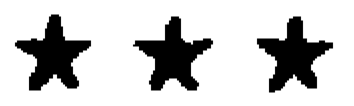
ثم أستل سيفه من مغمده ورفعه عاليا وأستطرد قائلاً :

– لن يغمد هذا السيف حتى أدرك كـل ثأر لكل جرح أحدثتموه فى جسد قيصر ، هيا أنطونيو لننصرف .. ولتقول السيوف كلمتها ..

ثم لوى عنان جواده ..وعاد إلى جيشه .. وأنطونيو يتبعه ..

وهكذا فعل بروتس وكاسيوس ..

.. جاء آوان العاصفة .. والحرب آتية لا محالة ..وكل شئ الآن فى قبضة القدر ..



.. دقت طبول الحرب ..

وسارت الجياد وعلى ظهورها القواد ..

ومن خلفهم المشاة ورماة الأسهم ..

.. قال كاسيوس وهو يمتطى صهوة جواده :

– اليوم هو يوم ميلادى يا بروتس .. فـفى هذا اليوم تنفست لأول مرة وفى هذا اليوم قد أتنفس لآخر مرة .. فماذا أنت فاعل لو خسرنا المعركة ..وكان هذا هو آخر حديث لنا ؟..

أجاب بروتـس برفق : قد نموت اليـوم يا كاسـيوس ، وقد تتـركنا الآلهة لنعيش حتى الشيخوخة .. فاذا حدث ما قلته فوضت أمرى إلى الآلهة المهيمنة ..

فقـال كاسيـوس : عجبـا .. أترضى لنفسك أن تسـاق فى مواكب النصر فى شوارع روما ..

أجـاب بروتس بهـدوء : مـهـلا يا كـاسـيـوس .. مـازال بروتس الرومانى النبيل الذى لا يرضى أبدا أن يذهب إلى روما مصفدا ..

فقـال كاسيـوس : نعم القول مـا قلت يا بروتس .. لا نعلم إذا كنا سنلتقى ثانية أم لا .. فلنتوادع إذن وداعنا الأبدى ..

فقال بروتس وهو يعانقه :

– وداعا .. إلى الأبد يا كاسيوس .. فلو ألتقينا ثانية فسنبتسم وإلا .. فأن هذا الوداع هـو خير مـا نفعله الأن .. هيـا بنا .. إلى مصـيرنا المحتوم ..نصر .. أم موت ..

★ ★ ★

والتحم الجيشان ..

.. وأقتتل أصحاب الأصل الواحد والجنس الواحد ..

وأغمد الرومانيون سيوفهم فى صدور الرومانيين ..

وأطاحت السيوف الرومانية برؤوس الرومان !!!..

وبروتس يكر ..ويفر ..

وكاسيوس يطعن .. ويتقدم ويتقهقر ..

أوكتاڤيوس الشجاع يحث جنوده ..

وأنطونيو المحنك يراوغ ويناور ..

والأجساد تهوى ..والجرحى يئنون ، والخيول ترغى وتزيد ..

حمى وطيس المعركة ..وأرتفعت حرارتها ..

صاح بروتس : كاسيوس .. تولى أنت جيش أنطونيو ..ودع أوكتافيوس لى ..

– حسنا يا بروتس ..

ويستحث كاسيوس رجاله .. وينقض فى ضراوة على جحافل جيش أنطونيو ..

ويوصى بروتس جيشه : لا تتركوا رجلا من رجال أوكتافيوس حيا .. أبيدوهم عن آخرهم ..

.. وبعد قتال عنيف ، رجحت كفة بروتس ..وتقهقر أوكتافيوس بما بقى من رجاله وعتاده وصاح الرجال فى جيش بروتس :

– مرحى .. مرحى .. لقد انهزم الأعداء .. فلنهرع خلفهم ..

وطارد رجال بروتس فلول أوكتافيوس الهاربة والمتجهة خلف الجبال علها تجد الأمان والفرصة لألتقاط الأنفاس ومعاودة القتال ..

وكان لكاسيوس مصير آخر !!

فقد تمكن أنطونيو وهو المحارب الخبير أن يلحق بجيشه هزيمة منكرة ..وكما هربت فلول أوكتافيوس فعلت بقايا كاسيوس ..

وصاح به تابعه تيتنيوس : الفرار يا كاسيوس .. الفرار .. إن أنطونيو يبحث عنك وهو لابد قاتلك ..

فقال كاسيوس وهو يشير إلى صخرة كبيرة ..

– فلنقصد هذه الصخرة يا تيتنيوس ..

وهرع الاثنان ومعهما قلة قليلة من الرجال للاحتماء خلف الصخرة التى أشار إليها كاسيوس .. كانوا لاهثى الأنفاس .. تعلو صدورهم وتهبط ، ومنهم الجرحى ..ومنهم من أشرف على الموت ..

وقال كاسيوس لتابعه : أسرع بأستطلاع الأمر .. هل أقتربوا من معسكرنا !!..

قام تيتنيوس ملبيا لأمر سيده .. سأذهب يا سيدى .. وأعود إليك على الفور ..

ولكنه ما أن تقدم قليلا صوب السهل المنخفض حتى تجمع حوله رجال أنطونيو وأقتادوه آسيرا ..

.. وها هى جماعة من جيش أنطونيو تتقدم صوب الصخرة الكبيرة والمختفى خلفها كاسيوس وبعض من رجاله ..

صاح بنداروس وهو عبد رقيق لكاسيوس ..

– سيدى .. أنهم يتقدمون .. نحن هالكون لا محالة ..

.. وبهدوء غريب أجابه كاسيوس :

قف أمامى يا بنداروس وأسمع حديثى ..

أطاع بنداروس ووقف قبالة سيدة الذى قال :

– أتذكر يوم أخذتك أسيرا .. يوم أقسمت لى بالطاعة إذا أنا أبقيت على حياتك ؟..

قال بنداروس : نعم ..ومازلت على قسمى يا سيدى ..

وقف كاسيوس مواجها له قائلاً :

– لقد جاء الوقت الذى تبر فيه بقسمك ..

.ثم سلمه سيفه واستطرد يقول :

– أنت حر الآن .. فقد أعتقتك .. ولكن قبل أن تذهب ها هو سيفى الذى أخترق أحشاء قيصر .. وها هو جسدى .. فأنفذ السيف فيه ..

تردد العبد .. ولكن يا سيدى ..

قال كاسيوس : لم أعد سيدك .. أفعل كما أمرتك .. وأذهب بسلام ..

ونفذ بنداروس أمر سيده ، وأغمد السيف فى قلبه .. وهوى كاسيوس على الأرض والسيف مرشق فى جسده ..

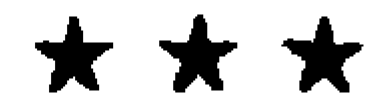
– أواه قيصر .. لقد أخذت بثأرك ..وبالسيف الذى قتلك ..

ثم سكنت حركته .. ومات ..

أما بنداروس ، فقد ألقى السيف قائلاً :

– الآن قد أصبحت حرا .. سأهرب بعيدا حيث لا تقع على عين رومانى أبدا ..

وأنطلق هاربا ..وسرعان ما أختفى ..



ما زال بروتس فى حومة الوغى يقاتل .. .

ومازال رجاله يكرون على جماعات أكتافيوس المهزومة ..

.. أصبح النصر الحاسم وشيكا .. وهنأ رجال بروتس أنفسهم ولكن ها هى جيوش أنطونيو تتقدم لمؤازرة أوكتافيوس ..

وأزدادت المعركة أشتعالا بوصول تلك الإمدادات غير المتوقعة ..

وصاح بروتس برجاله : أصمدوا .. أيها المواطنون .. أصمدوا ..

ولكن دائما ما تغلب الكثرة الشجاعة .. جيش الأعداء الأن قد أصبح أكثر عددا وقوة ..وتغير سير المعركة سريعا ..

وتقدم لوسيسليوس منتحلا شخصية بروتس وهو يقول :

– أنا بروتس أيها الأفاعى .. أنا بروتس الذى تعرفونه جيدا ..

وكان مقصده أن يحمى سيده وقد وجد تغير مسار الحرب .. ولمح الهزيمة آتيه ..

وأحاط به الأعداء ..وأسروه .. وفى ظنهم أنهم بذلك قد أختتموا نصرهم ..

وراح أحدهم إلى أنطونيو بالبشرى لاهثا :

– أنه بروتس يا سيدى .. لقد أسرنا بروتس ..

فقال أنطونيو بلهفة : أين هو ؟..

قال الجندى : فى الخيمة يا سيدى .. وعليه حراسة مشددة ..

دخل أنطونيو إلى الخيمة مسرعا .. فلما رأى لوسيوس قال :

– هذا ليس بروتس .. كنت أعرف هذا .. فبروتس الذى أعرفه لا يؤسر حيا قط ..

★ ★ ★

.. بروتس وبعض أعوانه فى جانب بعيد من ميدان القتال ..

وكان يقول :

– لقد ظهر لى شبح قيصر مرتين متتاليتين فى ليلتين ..وأظن أن ذلك نذير دنو أجلى ..

فقال رجل من أتباعه : لا تعتقد ذلك يا مولاى ..

لكن بروتس عاد يقول : أستودعكم الله يا أصدقائى .. ما وجدت فى أحد منكم الا رجلا وفيا فعاد رجل يقول : لابد أن نغادر هذا المكان مسرعين يا مولاى .. فأن جيوش أنطونيو وأوكتافيوس تقترب ..

أجابه بروتس : أذهبوا أنتم وسأتبعكم ..

ثم أشار إلى تابع له يدعى ستراتو ..

- أبق أنت يا ستراتو .. فأنى سأسألك صنيعا ..

فر الرجال هاربين .. وبقى بروتس وستراتو وحدهما ..

كان ستراتو ينظر إلى سيده بإشفاق .. فقد خبره نبيلا محترما وها هو الأن أمامهمقهور مدحور ينشد الأعداء حياته ..

قال بروتس بهدوء : ها هو سيفى يا ستراتو .. كل ما عليك أن تمسك بمقبضه بقوة ..ودع الباقى لى ..

ستراتو منزعجا : ماذا تنوى أن تفعل يا مولاى ؟..

أجاب بروتس بنفس الصوت الهادىء :

- أترضى لسيدك أن يؤسر ويساق ذليلا كالنعام فى شوارع روما؟..

أترضى أن يفخر أنطونيو أو أوكتافيوس بأنه أتى ببروتس أسيرا ..

صاح ستراتو منتحبا : لا .. لا أرضى لك ذلك أبداً يا سيدى ..

قال بروتس : إذن .. اقبض على السيف وأشح بوجهك جانبا ..

ستراتو : سمعا وطاعه يا مولاى ..

وأرتمى بروتس على سيفه الذى شق صدره ..

وترك ستراتو السيف .. فهوى بروتس على الأرض ..

– وداعا يا ستـراتو .. ولتعلم يا قيصر أننى لـم أقتلك بنفس العزم الذى قتلت به نفسى .. ثم قضى نحبه ..

★ ★ ★

أقتربت جـيوش أنطونيو وأوكتافـيوس من ذلك الموضع الذى أنهى بروتس حياته فيه .. وكان أنطونيو يصيح ..

–كل الذين خدموا بروتس لهم الأمان منى ..

.. وتوقف القتال أثر ذلك العهد ..

.. وترجل أنطونيو عن جواده وفعل أوكتافيوس مثله ، وسارا حيث كان ستراتو واقفا فوق جثمان سيده ..

.. تبادل أنطونيو النظرات مع أوكتافيوس . ثم أخذ الأثنان يحدقان فى الجثمـان المسجى على التراب دون أن تصدر من أى منهـما كلمة واحدة ..

.. واحترم الجميع صمتهما ذا المغزى ..

وتوقف الزمن لحظات والجميع ينظر إلى بروتس فاقد الحياة !!..

.. ثم قال أنطونيو بأسى :

– كيف مات !!؟..

أجاب ستراتو بحزن : أمسكت بالسيف فألقى نفسه عليه ..

.. وبعـد فـتره صـمت أخـرى .. قـال أنطونـيـو وهو يشـيـر إلى بروتس :

– كان هذا أنبل رومانى ..

كل المتآمرين عداه وحـده فعلوا ما فعلوا غيظا وحسـدا من قيصر العظيم ..

ولكنه وحده – بروتس – وبدافع من نية سليمة مخلصة ..

ومصلحة عامة شاملة .. قد انضـم إليهم ..

لقد عاش بروتس كريما ..

وهكذا مات ..

.. أما أوكتافيوس فقال :

فلنبذل له كل الاحترام ..

ولتك جنازته مهيبة لائقة ..

ثمُ أمر أتباعه قائلاً :

– أحملوا هذا الجثمان الطاهر إلى خيمتى ..

وليسترح الجيش ..

وفى الغد ..نعود إلى روما .. يكللنا النصر ويتوج هامتنا الفوز ..

★ ★ ★

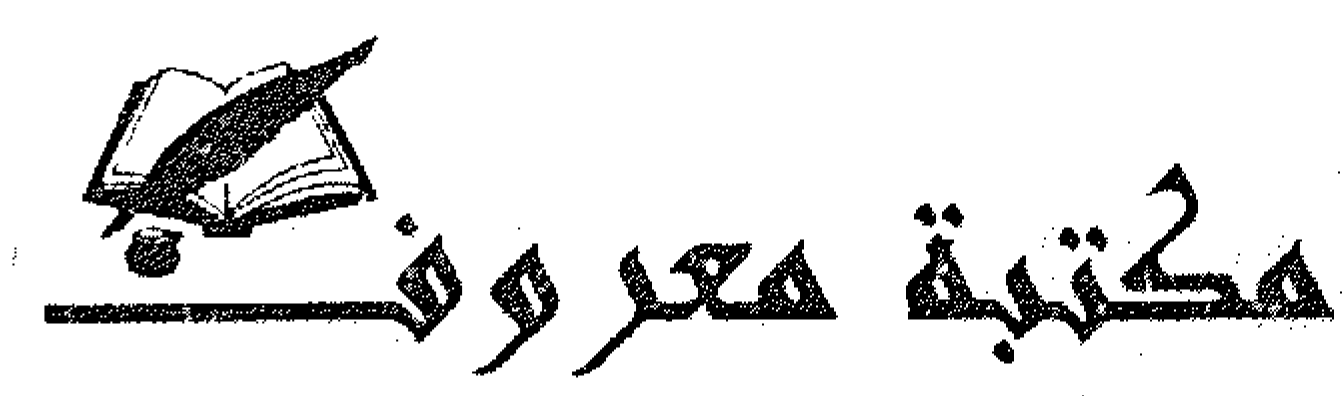
انتهت

تنبيه

لا ينبغى أن يغيب عن ذهن القاريء المسلم ان أحداث هذه الرواية تجرى فى مكان تقاس فيه الفضيلة و الرذيلة بمقاييس بعيدة عن المفاهيم و التقاليد الاسلامية و التى يجب أن نتمسك بها ما حيينا و نحن إذ نفتح له نافذة على أدب الغرب نطالبه بالحرص .

فمن الهواء ما يحمل الصحة و من الهواء أيضاً ما يحمل المرض .

* * *



الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية

الموزعون

بالمملكة العربية الس

مكتبة دار ال

ت : ٤١١١٢٠٧ الر

٥٦١٩

@ www in touch . Marouf . Com

